الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في اللّغة والأدب العربي موسومة بـ:

دراسة كتاب:

بحوث ودراسات في علوم اللّسان

للدكتور عبد الرحمان الحاج صالح

إعداد الطالبتين:
بن عيسى حكيمة
بوكريوع عائشة

إشراف الأستاذ:
*د/ بوعرعارة محمد

اللجنة المناقشة:

د.		رئـــــــــيسا
د.		عضوا مناقشا
د. بوعرعارة محمد		مشرفا ومقررا.

سنة الجامعية: 1437•1438/2016•2017

بسم الله الرحمن الرحيم

اصبر على مر الجفا من معلم فإن رسول العلم في نفراته

ومن لم يذق مر التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته

و من فاته التعلم وقت شبابه فكبر عليه اربعا لوفاته

وذات الفتى و الله بالعلم و التقى اذا كم يكونا لا اعتبار لذاته

الشافعي

شكر وعرفان

الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله إنّه يشرفنا أن نسجل أسمى آيات الاحترام و التقدير و اخلص عبارات العرفان و التوقير الى أستاذنا الدكتور محمد بوعرعارة محمد.

الذي أسعدنا بإشرافه على بحثنا هذا والذي غمره بالرعاية الصادقة و التوجيهات السديدة.

كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر الخالص الى اسرة كلية الآداب و اللغات ، و قسم اللغة العربية و آدابها بالمركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي.

وإلى كل من قدم لنا يد العون طيلة مسيرة هذا البحث و ختاما شكر خاص لأعضاء المناقشة على قبولهم قراءة و مناقشة هذا البحث.

إهـــداء

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة "جميلة".

إلى رمز الأبوة إلى الذي رباني وأحسن تربيتي إلى الذي فداني بالغالي النفيس إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أبي الغالي "أحمد".

إلى من يرتعش القلب لذكراها إلى من أودعتني عن هذه الحياة إلى روح جدتي الغالية رحمها الله "بختة" وإلى جدي "الحاج الطاهر" أطال الله في عمره.

إلى من كانت زاد رحلتي وسبب راحتي إلى من ترعرعت في أحضانها الدافئة أمي الحنونة و العطوفة "خالدية".

إلى من أشد بهم أزري ويكبر بهم شأني :محمد أمين ،سميرة، هجيرة ،فاطمة، عبد الحميد.

إلى من تدمع العين لفراقهم ويتمزق القلب لبعدهم: أيوب، الحاج علي، حياة، مليكة.

إلى من تقاسمت معها عناء البحث وكل أيام الجامعة بحلوها ومرها "عائشة".

إلى رفقة البداية وأخوة النهاية: "خديجة، نعيمة، أمينة، مريم، نبيلة، فاطمة، جوبة".

إلى كل من يحملهم قلبي ولم يكتبهم قلمي.

حكيمة

إهـــداء

إلى من تجرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب ...

إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة ...إلى من حصد ألأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم...

إلى القلب الكبير "والدي".

إلى حكمة علمي وأدبي وحلمي...إلى طريقي المستقيم...إلى ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل ،هي كل من في الوجود بعد الله و رسوله "والدتي الغالية".

إلى سندي وقوتي وملاذي ...إلى من آثروني على نفسهم ...إلى من علموني علم الحياة ...إلى من أظهروا لي ما هو أجمل في الحياة "أخواتي و إخواني".

إلى صاحبة القلب الطيب و النوايا الصادقة ...إلى من حملت معي سرب الدرب خطوة خطوة "حكيمة".

إلى من كانت ملجئي...إلى من تذوقت معها أجمل اللحظات...إلى من جعلها الله أختا بالله ومن أحبها بالله "نعيمة"

إلى من يجمعون بين سعادتي وحزني...إلى من أتمنى أن أذكرهم...إذا ذكروني

إلى من أعرفهم ولم يعرفوني "منى، خديجة، أمينة، خيرة، جوبة، خليدة، لويزة وحياة، أسماء، عائشة".

إلى من عرفت كيف أجدها وعلمتني أن لا أضيعها...إلى الروح التي سكنت روحي"نبيلة".

عائشة

مقدمة

بسم الله الذي خلق الانسان علمه البيان، ووهبه التمييز و الحكمة و كرمه على سائر مخلوقاته فأحسن تصويره فَقَوِي عليه كلام الله ليرشده و ليدرك منزلته و يحمده على ما اثار من علم و حكمة، فقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ الإسراء الآية :85

لا مراء أن اللّغة كانت مركز اهتمام الباحثين قديما وحديثا، و على اختلاف توجهاتهم الفكرية، إذ راح الجميع يدرسها من مختلف جوانبها، وكل وفق تخصصه، ومع مطلع القرن العشرين ظهرت اللسانيات حاملة معها طابعا عالميا جديدا لدراسة اللّغة، فكان لها أن أثرت في مسار الدّراسات اللغوية في العالم مما أدّت إلى بروز ثلة من اللّسانيين الّذين أحدثت أقلامهم في طرح قضايا اللغة العربية وفق وجهات نظر متباينة....

وفي هذه الدّراسة سنسلط الضوء على علم من أعلام الدّرس اللّساني في العالم العربي عامة و الجزائري خاصة، وهو الأستاذ الدكتور عبد الرّحمان الحاج صالح الذي لمع اسمه في الساحة العلمية اللغوية، باحث حديث و عالم فذّ، متميز في فكره، صارم في علمه، نبغ في علوم اللّسان، فجمع بين الأصالة و المعاصرة، واغترف من علوم اللّسان حديثا و قديما، وتمكن باقتداره من بَعث التراث اللّغوي في ثوب أصيل وصاغه ممزوجا بما جدّ في البحث الأكاديمي و نشره في مجلات و دوريات و حَاضَرَ به في عدة جامعات، فكان واسع الصيت في الداخل و الخارج.

وتحاول هذه الدراسة الكشف عن ملامح الدرس اللّساني و خصائصه عند الأستاذ الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح، هذا العالم البارز على الساحة الوطنية و العربية، و حتى العالمية من خلال بحوث و دراسات في علوم اللّسان، فالكشف عن ما جاءت به الدّراسات العربية عموما و الجزائرية خصوصا في ميدان علوم اللّسان كان الدافع الرئيسي لهذا البحث بالإضافة الى الكشف عن فكره اللّساني و بيان بصمته في البحوث اللسانية العربية و حتى العالمية.

والمفترض على البحث أن يجيب عن الأسئلة التالية:

فيم تتمثّل أهم الأفكار اللّسانية التي جاء بها عبد الرحمان الحاج صالح؟ وماهي أهم مساهماته ومشاريعه العلمية؟ وفيم تمثّلت جهوده لتطوير اللّغة العربية؟ وكيف هي نظرته للتّراث اللّغوي العربي؟ وماهي أهمّ الأفكار التي نادى بها في مجال تعليمية اللّغات؟

تلك هي الأسئلة التي حاولنا الإجابة عنها في هذا البحث، من خلال "بحوث ودراسات في علوم اللّسان" لعبد الرحمان الحاج صالح.

وقد اقتضى البحث أن يسير على خطة جاءت مادتها العلمية مقسمة إلى مدخل وثلاثة فصول مسبوقين بمقدمة ومتبوعين بخاتمة.

تناول المدخل الإطار الفكري لظهور اللّسانيات، أما الفصل الأول فتناول الجذور الأولى لظهور اللّسانيات، حيث تحدثنا في المبحث الأول عن المجال المفاهيمي الدلالي لمصطلح اللّسان، في حين تناول المبحث الثاني الدراسات اللسانية قبل علم اللغة.

و أما الفصل الثاني: فجاء حول الاتّجاهات اللّسانية في العصر الحديث، إذ تناول المبحث الأول الدّراسات اللّسانية في مرحلة ما قبل البنيوية، و تناول المبحث الثاني :القرن العشرين؛ عصر البنية والدّراسة البنوية.

أمّا الفصل الثالث فقد عالج تعليمية اللّغات، إجراءاتُها العملية وكيفية اكتسابها، حيث تضمّن المبحث الأول: علم اللّسان وصناعة تعليم اللّغات في حين تناول المبحث الثاني تعليمية اللّغات وإجراءاتها العملية وانتهى البحث بخاتمة رصدت أهم النتائج المستخلصة من هذه الدّراسة.

وقد استعانت هذه الدّراسة بالمنهج الوصفي لملائمته طبيعة البحث، إذ وقفنا على أهم الآراء اللّسانية التي جاء بها عبد الرّحمان الحاج صالح في كتابه مستعينين بآلية التّحليل.

على غرار كلّ البحوث اللّسانية فقد لاقت هذه الدّراسة صعوبات لعلّ أبرزها نقص المراجع والدّراسات الّتي خصّصت للجهود اللّسانية عند عبد الرّحمان الحاج صالح.

وعلى العموم فقد اعتمدنا في هذه الدّراسة بصورة أساسية على مؤلفات عبد الرحمان الحاج صالح المنشورة وهي: بحوث ودراسات في علوم اللّسان، وكذا بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية إضافة إلى بعض المقالات المنشورة في مختلف المجالات المتخصصة.

كما استعنّا ببعض المصادر والمراجع القديمة والحديثة التي كانت سندا في توجيه وتوضيح الرؤية لنا في هذه الدّراسة.

وفي الأخير نتقدّم بالشكر الجزيل إلى كلّ من كان لنا عونا في إنجاز هذا البحث، ونخصّ بالذّكر أستاذنا الفاضل الدكتور بوعرعارة محمّد والذي قدّم لنا الدّعم، ولم يبخل علينا بكلّ ما أوتي من قوّة فلهُ منّا جزيل الشكر والتقدير والاحترام، كما نتوجّه بالشكر الجزيل إلى كلّ الأساتذة الذين أفادونا طيلة المرحلة الجامعية.

بن عيسى حكيمة / بوكريوع عائشة

تيسمسيلت في: 18 أفريل 2017

بطاقة فنية

* العنوان: بحوث ودراسات في علوم اللّسان

* المؤلف: عبد الرّحمان الحاج صالح

* دار الطبع: طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية "موفم"

* مقاس الكتاب: 17.2x24.57 سم أمّا عدد صفحاته فهو 245 صفحة.

* بلد النّشر: الجزائر.

* الطّبعة المعتمدة في الكتاب: طبعة 2012.

كتاب بحوث ودراسات في علوم اللّسان، مجموعة من البحوث والدّراسات صدرت في مختلف المجلاّت العلمية المتخصّصة، موجّه للقرّاء عامّة والمتخصصين في علوم اللّسان خاصة، صدر هذا الكتاب عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ***ENAG*** ونشر سنة 2012 في جزء واحد. متوسط الحجم 17.2x24.57 سم يبلغ عدد صفحاته 245 صفحة.

غلافه الخارجي من الورق الأملس نسبيا كتب عليه بحوث ودراسات في علوم اللّسان بلون أخضر فاتح، وقد كتب في أعلى الكتاب الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح بلون أبيض وأسفله طبع رمز دار النشر وهو عبارة عن مربّع كتب عليه بالأبجدية الفرنسة ENAG وهي عبارة مختصرة للمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

مضامين الكتاب:

1- مقدمة: افتتح الكتاب بمقدّمة تقع في صفحتين، أعطت نظرة عن محتوى الكتاب، تحدث فيها صاحب الكتاب عمّا يحتويه، فقال أنّه أولا موّجه للمتخصصين في علوم اللّسان وأشار إلى أنّ الكتاب مجموعة من البحوث والدراسات صدرت في مختلف المجالات العلمية المتخصصة، وبعضها ألقيت في ندوات علمية في الشرق والغرب، وبعضها نشرت بالعربية وبعضها باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.

2- محاور الكتاب:

أ- مدخل إلى علم اللسان الحديث: تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه.

- الغاية من هذا التحليل.

- الصعوبات التي يلاقيها الباحث العربي عند معالجته لمثل هذا الموضوع.

- تحديد العلماء المحدثين لعلم اللسان وبيان أهم أطواره.

ب- مدخل إلى علم اللّسان الحديث: نشأته وأطواره.

- أقدم تحليل علمي للسان البشري.

- العلوم اللّسانية عند قدماء الهنود.

- العلوم اللّسانية عند قدماء اليونانين.

- العلوم اللّسانية عند العرب.

- الدّراسات اللّغوية في أوروبا في القرون الوسطى.

- الدراسات اللغوية في أوروبا من القرن 16 إلى 19.

جـ- مدخل إلى علم اللّسان الحديث: القرن 19 والنصف الأول من القرن 20.

- القرن 19: عصر الدّراسات التاريخية والمقارنة.

- النصف الأول من القرن العشرين: عصر البنية والدراسة والبنوية.

د- مدخل إلى علم اللسان الحديث: أثر اللّسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللّغة العربية.

- تمهيد.

- علم اللّسان وصناعة تعليم اللغات: اختلاف أهدافهما ومسالكهما.

- القوانين العامة التي أثبتتها اللّسانيات ممّا لا يجوز للمربي أو مدرّس اللّغة جهله.

- اللّسانيات التربوية كبحث تطبيقي لعلمي اللسان والتربية.

مدخل

الإطار الفكري لظهور اللسانيات

إنَّ مجال اللّسانيات بشقّيها النّظري والتّطبيقي يقوم على النّظرية أولا في تقعيداتها وتنظيراتها الّتي تحاول دائمًا وصف الواقع، ورصد حركتيه من أجل معرفة عناصره الوظيفية، لتؤلف كلاً قائمًا بذاته. بيد أنّ الجانب التّطبيقي يطرح مشكلات وقضايا لفرضيات تقدّم أجوبة نسبية، ومفتوحة وقابلة للتّطوير والنّقاش، من أجل فهم حركية اللّغة الإنسانية وعلاقتها بالإنسان والكون.

ولطالما كانت اللّغة مركز اهتمام الباحثين قديمهم وحديثهم، وعلى اختلاف تخصصاتهم وتوجّهاتهم، إذ راح الجميع يدرسها من مختلف جوانبها، وكلٌ وفق تخصصه، ومع ظهور اللّسانيات في مطلع القرن العشرين التي حملت في ثناياها طابعاً علميًا جديدًا لدراسة هذه اللّغة، برزت ثُلّة من الباحثين اللّسانيين الّذين أخذت أقلامهم في طرح قضايا اللّغة العربية وفق وجهات نظر متباينة .

وسنحاول في هذه الدّراسة أن نسلّط الضّوء على أحد اللّسانيين العرب المعاصرين وليكن "عبد الرحمن الحاج صالح" وإن كان الهدف المباشر من خلال هذا البحث هو استظهار الجهود اللّسانية عنده[1] فإنّ المسعى الحقيقي ورائه هو محاولة تقديم نموذج لتحليل الدّرس اللّساني العربي.

وفي هذا الإطار كانت جهود "الحاج صالح" متنوعة ألمّت بكل أصناف الدّرس اللّساني العربي مشكِّلةً بذلك مدوّنةً متمثّلةً في كتاب **"بحوث ودراسات في علوم اللّسان"**.

وهذا العمل لا يهدف لنقد أو انتقاد ما سبق تقديمه، بقدر ما يهدف إلى استثمار تلك النتائج والاستفادة منها، في تقديم دراسة أكثر فعالية لخدمة اللغة العربية، وفي تلبية حاجيات القارئ العربي

1– خصائص الخطاب اللساني من أعمال ميشال زكريا نموذجا، هبة خياري، ط1، دار الوسام العربي، بيروت لبنان، سنة 2011م، ص/08.

الذي طالما كان ولا يزال بحاجة إلى التوسع أكثر في هذا المجال اللّغوي، الذي شكل مركز اهتمام البشرية منذ عصور بعيدة. كيف لا، واللغة سرّ التّواصل وسر التّطور وسر الاستمرارية أيضا.

التعريف بشخصية الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح:

ولد "عبد الرحمن الحاج صالح" بمدينة وهران سنة 1927م، درس في مصر وبوردو وباريس، وتحصّل على التّبرير في باريس وعلى دكتوراه الدولة اللّسانيات من جامعة السربون، كان أستاذًا بجامعة الرّباط بالمملكة المغربية من سنة 1961م إلى سنة 1962م. وبعد ذلك صار مديرًا لمعهد العلوم اللّسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر، ثم مديراً لمركز البحوث العلمية لترقية اللّغة العربية، قبل أن يعّينه الرئيس "عبد العزيز بوتفليقة" رئيسا للمجمع الجزائري للغة العربية سنة 2000م.[1]

وهو عضو في المجامع العربية: دمشق وبغداد، وعمّان، والقاهرة، وله مشروع **"الذخيرة العربية"** وهدفه إنجاز بنك آلي للغة الفصحى يخدم كل العلوم والفنون. ينطلق من التّراث اللّغوي العربي الأصيل ويواكب العصر بكل تطوّراته، إنّه بحقّ مشروع حضاري عربي كبير، وهو صاحب نظرية لسانية عربية هي **"النظرية الخليلية الحديثة"**.

له العديد من البحوث العلمية قدم معظمها في مؤتمرات علمية دولية تمتد من سنة 1964م إلى أن توفي يوم الاثنين 06مارس2017م، جمعت وطبعت في ثلاثة مجلدات اثنان منها بعنوان: "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية" بجزأين، والثالث بعنوان: "بحوث ودراسات في علوم اللّسان" إضافة

1 – الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية اللغة العربية، شريف بوشحدان، "مقال"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، جوان، 2007، ع7، ص14.

إلى كتاب آخر بعنوان: "السماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة"، وكلّها صادرة عن منشورات المجتمع الجزائري للغة العربية الجزائر 2007م.[1]

إن هذا العالم الجّليل، والنّحوي الأصيل واللّساني الفذ واتته الظروف ليظهر "كعَلم من أعلام علم اللّسان لا على مستوى وطنه بل على مستوى العالم"،[2] فالأستاذ اهتمام خاص باللّسانيات وفِقْه اللغة ،فهو من دُعاة القراءة الواعية للتّراث والدّراسة العميقة له بمفاهيم آنية.

إنّ موضوعيته الحّقة جعلته لا يقبل إلاَّ بسلطة العلم، إذ انقطع له بجدية قلَّ مثيلها وبروح حرَّة لا تنحاز إلاَّ إلى الحقيقة، فكان يخضع كلَّ الأقوال للنّقد والتّمحيص مهما كان مصدرها، عند القدماء أو عند المحدثين، عند العرب أو عند الغربيين، وأن يحرص على احترام العالم مهما كان انتماؤه، ولا أحد ينكر قيمة الأعمال التي قدّمها للّسانيات العامة والعربية على وجه الخصوص، وما يمكن أن تستفيده العربية الفصحى من النّظريات السائدة اليوم في مجال البحث اللّساني، وما ينفرد به اللّساني العربي[3].

وهكذا إنّ اللّغة العربية يجب أن تقرأ من خلال اللّسانيات الحديثة هذا العلم الذي حفل به كثيرا وكتب فيه مواضيع شتى وقارن بين الدّراسات اللّغوية العربية القديمة وبين ما أنتجه علم اللسان الحديث، ليرى أنّه الأوسع مجالًا والأكثر نفوذًا ونجوعًا، لا بالنسبة إلى ما كان عليه فيما مضى فقط،

1– الأستاذ عبد الرحمن صالح وجهوده العلمية في ترقية اللغة العربية، الشريف بوشحدان "مقال" ص/14.

2– المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، التواتي بن تواتي، دار الوعي، رويبة، الجزائر، ط1، سنة 2008م، ص/141

3– النحو العربي بين الأصالة والتجديد، عبد المجيد عيساني، ط1، دار ابن حزم، سنة 2008، ص/240.

بل بالنسبة أيضا إلى ما استفادته العلوم الإنسانية الأخرى من تحديد عميق بتطبيقها لمناهجه الخاصة على مواضع أبحاثها.

وللإشارة فقد هام الباحث في مجال علم اللّسان بالتحليل والنّقد لأهم مفاهيمه ومناهجه ونشأته وأطواره، ثم تعرّض إلى عصر الدّراسات المقارنة والتاريخية، ثم مدخل إلى علم اللّسان الحديث[1].

المراحل التي مرت بها الدّراسات اللّغوية:

الدّراسات اللّغوية التي عرفتها البشرية جمعاء قد مرت بثلاث مراحل متميزة:[2]

أ- النّحو التّقليدي: (*GrammaireTraditionnel*)

ويشمل كل الدّراسات النّحوية القديمة التي ظهرت عند الهنود، والإغريق والرومان والعرب، واستمرت حتى عصر النّهضة ومطلع العصر الحديث (القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر) ويقتصر هذا النحو على دراسة النصوص المكتوبة دراسة معيارية ويرتكز في جوهره على مبادئ عقلية ومقولات منطقية أرسطو.[3]

ب- الفيلولوجيا (*Philologie*)

وتشمل كل الدّراسات التّاريخية والمقارنة التي سادت، خاصة خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وتهدف إلى مقارنة اللّغات الإنسانية قصد تصنيفها، وتحديد نسبها وبناء تاريخها.

1- مقاربات منهاجية، صالح بلعيد، ط3، دار هومة، الجزائر، سنة 2000م، ص/149.

2- اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ط3، المطبعة الجهوية، قسنطينة، الجزائر سنة 2007م، ص/281.

3- المرجع نفسه، ص/281.

جـ- اللّسانيات (*Linguistique*)

هي الدّراسة العلمية للّغة التي ظهرت في القرن العشرين والتي وضع أسسها وحدد مناهجها وأهدافها اللّساني السويسري فردنيان دي سوسير ***saussure FerdinanDe***(1857-1913)[1] وتعنى بدراسة الأنظمة اللّغوية دراسة آنية وصفية، وتعد في الحقيقة تتويجا لكل الأعمال السّابقة التي عرفتها الفيلولوجيا والنّحو التقليدي.

مفاهيم أولية حول الدّراسات اللّسانية:

لو ألقينا نظرة على كتب التّراث لوجدنا بروز مصطلحين مترادفين هما "العربية" و "النّحو" وأنهما يدلاّن على مفهوم لساني واحد، ففي كتاب أخبار النّحويين البصريين للسيرافي (ت:368هـ) نجد الأخبار التالية: أول من رسم النّحو: أبو الأسود الدؤلي، وأول من وضع العربية أبو الأسود. وقد "كان العلماء الأولون أبو عمرو بن العلاء (ت: 154هـ) وأصحابه والخليل (ت: 175هـ) وسيبويه (ت: 180هـ) وأصحابهم يعبّرون عن هذا المدلول بلفظ العربية فقط أو علم العربية"[2].

ثم نجد مصطلح اللّغة وهي أقدم المصطلحات ولها مدلولات فقد تعني كلام العرب، وقد تعني لهجة (***Dialecte***) مع الإشارة إلى أن كلمة "لغة" ترجع إلى أصلٍ غير ساميٍّ، إنّها من كلمة اليونانية (***Logos***) ومعناها: كلمة، كلام، لغة.

أما مصطلح "فقه اللّغة" فقد ظهر في القرن الرابع الهجري عند أحمد بن فارس (ت: 395هـ) إذ أطلق على أحد كتبه "الصاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها" وبذلك ظهر هذا المصطلح

1- اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ص/281.

2- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص/24.

أول مرةً في التراث العربي[1]،ثم ظهر في مصنف أبي منصور الثعالبي (ت: 492هـ) في كتابه "فقه اللّغة وسر العربية".

وفي العصر الحديث وضع لها الأوربيون –أي فقه اللّغة– مقابلا هو (***Philologie***) وأصل الكلمة مركب من (***philos***)ومن معانيها الحب والصداقة ومن (***logos***)بمعنى الكلام والمعنى الكلي هو: حب الكلام، أو اللّغة الذي يدفع إلى ففقها أو علمها[2].

وفي الاصطلاح هو الدراسة اللّغوية للنصوص القديمة لإدراك فحواها ومغزاها، مع العلم أن فقه اللغة علم عربي خالص ،عربي النشأة والتطور، عربي المصطلح، عربي المباحث والباحثين.

أمّا فيما يتعلق بمصطلح علم اللّغة (***Linguistique***)أو (***Linguistic***s) فقد استعمله العلماء العرب وخصّوا به دراسة الألفاظ مصنّفة في موضوعات مع بحث دلالاتها، وهو ما يحدّد مجال إعداد المادة اللّغوية وتبويبها على نسق ييسّر وضع المعاجم، وقد تواتر مصطلح علم اللّغة بهذا المعنى عند الرّضي الإستراباذي وأبي حيّان النحوي وعبد الرّحمن بن خلدون."[3]

1– علم اللغة، حاتم صالح ضامن، مطبعة التعليم العالي، الموصل، بغداد، 1989. ص/ 33

2– في علم اللغة العام، عبد الصابور شاهين، ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، 1989، ص/34.

3– قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، 1984م، ص/61.

وعلى العموم فإنّنا نلمس علم اللّغة عند العلماء القدماء "يشمل البحث في الألفاظ المفردة ودلالاتها، وفي الحروف التي تتركب منها الكلمة، بالإضافة إلى بعض الجوانب الصرفية المتصلة بذلك"[1].

مع العلم أنّهم لم يفصلوا بين مصطلحي علم اللّغة وفقه اللّغة. بحيث نجد المحدثين قد وظّفوا مصطلح (اللّغة، علم اللّغة، منتن اللّغة) بمعنى واحد، دون التّفرقة بين دلالاته قديما وحديثا.

كما وردت اصطلحات من هذا القبيل علم اللّغات، علوم اللّغة، الدّراسات اللّغوية الحديثة، الدّراسات اللّغوية المعاصرة...وغيرها.

وثمّة نمط آخر من الاصطلاح هو "علم اللّسان"، فقد استعمل علماؤنا قديما هذه التّسمية للدّلالة على دراسة خاصة باللّسان تمييزا لها بما هو خارج عنها من علم أصول الفقه، وعلم الكلام، وعلم الحديث، وعلم المنطق وعلم الحساب، وغيرها من فنون المعرفة"[2]

أما حديثا فقد ترجمنا لفظ "***Lenguistique***" بمفهومه الحديث (ما يدلّ على اللفظ في هذا النصف الثاني من القرن العشرين) بعلم اللّسان، وموضوعه في نظر العلماء المحدثين هو اللّسان البشري بوجه عام، والألسنة المعيّنة بوجه خاص".[3]

1- اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، نادية رمضان النجار، مراجعة: عبده الراجحي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية، 2004م، ص/ 24-25.

2- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/24.

3- المرجع نفسه، ص/24.

وقد ورد لفظ اللسان في القرآن الكريم بمعنى لغة في عدّة مواضع[*]منها قوله تعالى:﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤** ﴾[1]، وورد كذلك في الشعر العربي بالمعنى نفسه، وهو كذلك في عنوان أهم مؤلَّف معجمي "لسان العرب" لابن منظور الافريقي (ت711هـ).

وباقتراح من "عبد الرحمان الحاج صالح" رغم غيابه عن الندرة التي عقدت في تونس فيما بين 13و19ديسمبر 1978م كان الاتفاق بين الحاضرين من المشتغلين بالدّراسات اللغوية على تسمية علم اللّغة باسم اللّسانيات[2]، بعد أن صيغ له ما يقارب الثلاث والعشرين مصطلحا منها: اللانغويستيك، فقه اللّغة، علم اللّغة، علم اللّسان، اللّغويات، الألسنية، اللّسانيات ...وغيرها.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن لفظ اللّسانيات أول ما ظهر في ألمانيا ***Linguistik*** ثم استعمل في فرنسا سنة 1826م، ثم في انجلترا سنة 1855م.[3]ولكن اللّفظة ذات أصل لاتيني قديم، بحيث يرجع إلى كلمة ***Lingua*** التي أضيفت إليها اللاحقة ***Que*** للدّلالة على العلم أساسا، مع العلم بأنّ أوّل من استعمل مصطلح اللّسانيات ***Linguistique*** هو "جورج مونان" (***J.Mounin***) وذلك في سنة 1833م.[4]

*** ومنها: سورة الشعراء الآية 195، و الروم 22، والنحل 103.**

1– سورة ابراهيم [الآية: 04].

2– اللسانيات، النشأة والتطور، أحمد مومن، ص/07.

3– مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، طبعة 1999م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص/14.

4– مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، نسيمة نابي، مذكرة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011/2010، ص/10.

أما المفهوم الاصطلاحي للّسانيات فممّا يعنيه: أنها "العلم الذي يبحث في اللّغة ويتّخذها موضوعا له، فيدرسها من النواحي الوصفية والتّاريخية والمقارنة، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللّغات المختلفة، أو بين مجموعة من هذه اللّغات، ويدرس وظائف اللّغة وأساليبها المتعددة، وعلاقاتها بالنّظم الاجتماعية المختلفة"[1]أي أنّ اللّغة التي يبحث فيها هذا العلم هي اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، هي اللّغة التي تظهر وتتحقّق في شكل لغات أخرى كثيرة ولهجات متعددة وصورة مختلفة من صور الكلام الإنساني.

ومما ورد في تعريفها "أنّها دراسة اللّغة على نحو عملي" [2]، وهذا يعني أن اللّسانيات هي الدّراسة العلمية للغة والمقصود بالعلمية: الملاحظة ووضع الفرضيات وفحصها، والتّجريب، والدّقة والشّمولية، وهذه الخصائص التي تميّز الدّراسة اللّغوية الحديثة عن الدّراسة اللّغوية القديمة.

ولخص فرديناند دي سوسير ***DesaussureFerdinan***(1857م-1913م) مهمتها في ثلاث نقاط:

- تقديم وصف للّغات وتاريخها وإعادة بناء اللغات الأم في كل منها.
- البحث عن خصائص اللّغات كافة، ثم استخلاص قوانينها العامة.
- أن تحدّد اللّسانيات نفسها ويعترف بها ضمن حقل العلوم الإنسانية.

وكما هو معروف فإن اللّغة تُدرس من جميع جوانبها، وفي مستويات متدرجة هي كالآتي:

1- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، سنة 1997م، ص/7.

2- مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، مطبعة دار قباء، القاهرة، دط، دت، ص/17.

1- مستوى الأصوات: ***Phonologie*** ويدرس أصوات اللّغة ويشمل كِلا النوعين المعروفين باسم علم الأصوات العام ***Phonétique*** وعلم الفونيمات ***Phonémique.***

2- مستوى الصّرف ***Morphologie*** أو مستوى دراسة الصّيغ اللّغوية وبخاصة تلك التّغيرات الّتي تعتري صيغ الكلمات فتحدث معنى جديدا مثل اللّواحق التصريفية.

3- مستوى النّحو ***Syntaxe*** الذي يختص بتنظيم الكلمات في جمل أو مجموعات كلامية.

4- مستوى المفردات ***Vocabulaire*** الذي يختص بدراسة الكلمات المنفردة ومعرفة أصولها، وتطورها التّاريخي ومعناها الحاضر، وكيفية استعمالها.[1]

ويندرج تحت هذا المستوى الأخير كلا من علم الاشتقاق ***Etymologie***، وعلم الدلالة ***Sémantique*** وفن صناعة المعاجم ***Lexicographie***.

5- البحوث المتعلقة بنشأة اللغة.

6- علاقة اللغة بالمجتمع الإنساني والنفس البشرية.[2]

أمّا فيما يخص تاريخ نشوء اللّسانيات، ففي العصور القديمة وعند الهنود تعدّ الدّراسات اللّغوية عندهم "أقدم ما وصل إلينا لأنها تعود إلى الفترة التي تبدأ بالقرن السابع قبل الميلاد"[3] ثمّ تطورت

1- أسس علم اللغة، ماريوباي، تر: أحمد مختار عمر، ط8، عالم الكتب، القاهرة، 1998م، ص/43- 44.

2- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، ص/11.

3- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/62.

هذه الدّراسة بخاصة في القرن الخامس قبل الميلاد على يد نفر غير قليل من الباحثين يتقدّمهم اللّغوي الهندي المشهور بانيني (***Panini***) بكتابه "الأست أدهيايي معناه الكتب الثمانية"[1].

وقد بنيت الدّراسة اللّسانية الهندية على المشاهدة والاستقراء، فما خرجوا إلى تلك المعارف من نظرية سابقة، بل تصفّحوا جزئيات لغتهم ومجاري كلامهم من مشافهة بعضهم البعض بالنظر إلى النصوص القديمة (...) فكانت مناهجهم بذلك علمية حقيقة مستوفية لجميع شروط العلم.

وكان وراء الدرس الهندي للغة بوصفها بنية وصفية وصرفية ونحوية ودلالية دافعا دينيا أساسه الرغبة في الحفاظ على النصوص الدينية المتمثلة في كتابهم المقدس "الفيدا"[2].

أما عند اليونان فدراساتهم اللغوية كانت مرتبطة بالفلسفة كونهم فلاسفة أكثر من كونهم علماء دين، ولعلّ أهم مسألة تناولها الإغريق هي نشأة اللغة .أطبيعية النشأة أم تواضع عليها الناس؟ وهذا الخلاف أدّى إلى ظهور ثلاث اتجاهات: اتجاه يقر بالمطابقة بين الاسم والمسمى بالطبع أي أنها وليدة العرف والتقليد[3]، ورأي ثالث هو مزيج من الرأيين مع زيادات وتنقيحات.[4]

أما الدّراسات اللسانية في أوربا من القرن 16إلى 18م فقد تميزت بما يلي:

ظهرت في القرن 16م ولأول مرة في أوربا، دراسات في اللغات غير الأوربية وهذا ناتج عن كثرة الرحلات والتوسع الاستعماري والتبشيري، كما ظهرت أيضا في نفس العصر معاجم متعددة

1– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح ، ص/ 62–63.

2– المدارس اللسانية المعاصرة، بوقرة نعمان، مكتبة الآداب، القاهرة– مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص/34.

3– اللسانيات، النشأة والتطور، أحمد مومن، ص/16.

4– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/71.

اللغات فكثرت الترجمات، وبدأت حركة نقد النصوص في الظهور، كما أولوا اهتماما باللّغات اليونانية واللاتينية وغيرها.

واستمر الاهتمام باللّغات الأجنبية في أوربا في القرن السابع عشر، وتزايد عدد من المعاجم بكيفية عجيبة، وظهرت أيضا ترجمات للكتاب المقدّس بعدة لغات في المجلد الواحد (...) أما الدراسات لأصوات اللغة فبدأت تأخذ شيئا صبغة علمية حقيقية[1].

أما بالنسبة للقرن الثامن عشر فقد امتاز علماؤه في أوربا بسعة الاطلاع وكثرة مشاهدتهم للأحداث اللّغوية والرجوع الدائم إلى الحسّ (...) كل هذا مع المحافظة على ما استنه العقلانيون في تثبيت سلطان العقل.

وقد قيل عن القرن الثامن عشر أنّه عصر النّحو العام والنّظريات اللّغوية فقد تميز بكثرة البحث والتّأليف في اللّغات البشرية، وأمور اللغة بصفة عامة فما من أحد من أعلام الأدب والفلسفة والعلوم، وحتّى السياسة إلا وقد حاول أن يدلي برأي في هذا الموضوع.

أمّا فيما يخص الدّراسات اللّسانية في القرن التاسع عشر فنجد "عبد الرحمن الحاج صالح "يشير إلى أن الألمان هم الذين وضعوا أسس الدراسة المقارنة التاريخية للغات وأنهجوا سبيلها وبعجوا النحو (المقارن) ومدّوا القياس والعلل فيه[2].

1- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح ، ص/99.

2- المرجع نفسه، ص/144.

وفي هذا القرن بدأت ملامح اللسانيات في ظهور على شكل نحو تاريخي مقارن وبدأت ملامح النزعة التطورية في التشكل ،وبروز "المنهج التاريخي نحو 1876م الذي اهتم ببناء تاريخ علمي مفصل لكل لغة وبيان أثر الزمان في تطور اللغات وتغير أنظمتها الصوتية والدلالية والنحوية دون تفصيل للغة على لغة أيًا كانت"[1]ونتيجة لهذا المنهج استبان المقصود من فقه اللغة ***philologie*** ومن اللسانيات ***linguistique***، وظهرت عدة مؤلفات غربية في هذا المجال.

وفي القرن العشرين، عرفت اللسانيات منحى جديدا بظهور الدّراسات الوصفية مع محاضرات "فرديناند دي سوسير" والتي تدرس الظواهر اللغوية في فترة زمنية محددة[2]دون الاهتمام بقضية التّطور أو التدرج التاريخي.

فسوسير يعدّ أول من أظهر للناس –من دروسه– أهمية الدراسة البنيوية بوصفه وتحليله لمفاهيمها ومناهجها واحتجاجه المقنع لصحتها وعظيم فائدتها، فأخرج للباحثين بهذه التحليلات خير ما يمكن أن يرجع إليه في هذا النوع من الدراسات.

وعلى العموم يتفق الدارسون المحدثون على أن دي سوسير الأب الحقيقي للدرس اللغوي الحديث لأنه وضّح اختصاصه ومناهجه وحدوده وأثرى الدراسات اللسانية بالكثير من الأفكار اللغوية الرائدة، حتى صارت اللسانيات باعثا لنهضة علمية تولدت عنها علوم ومناهج جديدة.

واللّسانيات بوصفها علما حديثا يعود إلى القرن 19م. قد جاءت نتيجة لتضافر ثلاثة أسباب هي:

1– اللسانيات والمصطلح، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط2، 1999م، ص/01.

2– المرجع نفسه، ص/02.

1– اكتشاف اللغة السنسكريتية: وتم ذلك مع "وليام جونز" ***S.williamjones*** سنة 1789م، ولكن عمل جونز لم يخرج عن كونه مجموعة من الملاحظات المتفرقة، ثم جاء الألماني "شليجل" ***scheleget*** ونبّه الأذهان إلى صلات التشابه الكثيرة بين اللغات الأوربية والهندية والآرية، وقد قرر في كتاب له (حول لغة الهنود وحكمتهم عام 1808م)[1]أن الوسيلة الوحيدة لإثبات العلاقة بين أفراد مجموعة لغوية هي مقارنة قواعدها وتراكيبها لا مجرد جمع المفردات المشتركة بينها.

2– ظهور القواعد المقارنة: شاع في تلك الفترة أسلوب المقارنة بين اللغات ونظمها ومنها كتاب ***Bopp*** عام 1816م، في نظام تصريف اللغة السنسكيرتية ومقارنته بالأنظمة الصرفية في اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية.

3– نشأة علم اللغة التاريخي: الذي يُعنى بمعرفة جميع التطورات اللغوية في لغة ما، من خلال مجموع تاريخها وقد ظهر نتيجة للقواعد المقارنة .

ولما شاعت أفكار دوسوسير تشكلت مجموعة من الحلقات بدأت بالتدريج تأخذ طابعها المميز الأمر الذي جعلها ترقى إلى مستوى المدارس المتميزة، ومن هذه المدارس مايلي:[2]

1– **مدرسة جنيف:** انبثقت من تعاليم دي سوسير، ولكنها اكتسبت صورتها الأخيرة من العمل الذي قام به تلامذته، ولا سيما شارل بالي ***CharlesBally***(1865–1947م) وألبرت سيشهاي ***AlbartSechhaye***(1870–1946م) وتتميز هذه المدرسة بنزعة قوية إلى الدراسات التي تعالج

1– اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات، خليفة بوجادي، ط1، بين الحكمة، الجزائر سنة 2012، ص/11.

2– مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص/50

العنصر الانفعالي (التأثيري) في اللغة عن طريق الانصراف الدائب إلى اللسانيات الآنية وعن طريق الإيمان بأنّ اللغة تتجلى بوصفها كلاّ منظما (أي نظاما) ذا وظيفة اجتماعية مهمة.

2– **المدرسة الروسية:** بدأت هذه المدرسة سنة 1915م، مع وصول كارسفسكي (***S.Karcevski***) إلى موسكو فنشر أفكار أستاذه دي سوسير بين الدارسين الشباب الذين كان لهم استعداد لتقبل هذه المفاهيم الجديدة والعمل بها في مجال تطوير مناهج الدراسة اللغوية التي كانت تخضع للمناهج التقليدية ومن هؤلاء الشباب ترويسكوي (***Trubetzkoy***) وجاكبسون (***R.Jakbson***).

ونشأت على هامش هذه المدرسة اللسانية مدرسة نقدية موازية سنة 1917م تسمى بالشكلانية الروسية التي كان شعارها أن الأثر الأدبي يتميز ببروز شكله، أي إعادة الاعتبار إلى الجانب الشكلي المغيب في النقد الروسي التقليدي الذي كان نقدا مدنيا –كما يقال– إذ يعوّل في إجرائه التحليلي للخطاب الأدبي على العوامل الخارجية ويغفل الجانب الشعري الذي يميز الأثر الأدبي عما سواه.[1]

3–**مدرسة براغ:** تأسست عام 1926م، عن طريق المهاجرين الروس: رومان جاكبسون وكارسيفسكي، ونيكولاي تروبتسكوي، بالإضافة إلى اللسانيين التشيكيين أمثال: فيلام ما تشبسبوس (***V.Mathesius***) وترنكا (***B.Trnka***)... وغيرهم .

4– **المدرسة الانجليزية:**أخذت هذه المدرسة طابعها المميز من توحد نزعتين لسانيتين: الأولى فونولوجية تنطلق من المبادئ الفونولوجية التي أسسها دانيال جونز، والثانية دلالية ثقافية يمثلها

1–مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ص/51–52.

أحسن تمثيل جون فيرث (***Firth***) (1890-1960م) وتركز هذه المدرسة في تعاملها مع الظاهرة اللغوية على السياق بمفهومه الواسع.

5- **مدرسة كونبهاغن**: انطلق هذا الاسم في المرحلة الأولى للسانيات البنيوية التي قامت أساسا على أفكار الدانماركيين هيلمسليف ***Hjelmslev*** وبروندال ***Bronadal*** وامتدت جذور هذه المدرسة إلى حلقة كوبنهاجن اللّسانية التي أسست عام 1934م بقيادة هيلمسليف وبروندال، واكتسبت هذه المدرسة أهمية عالمية في تطور اللسانيات الحديثة بتأسيس الدورية العلمية عام 1939م، وهي الدورة التي حملت عنوانا فرعيا هو: المجلة الدولية للسانيات البنيوية.

6- **المدرسة الأمريكية**: تأسست هذه المدرسة في مرحلتها الأولى انطلاقا من الدراسات الأنثرولوجية التي اهتمت بدراسة العناصر البشرية لقبائل الهنود الحمر واستكشاف خصائصها الثقافية وفي ظل هذا الاهتمام نشأت الدّراسة اللّسانية الوصفية على يد ***Boas*** ثم إدوارد سابير، ثم بلومفيلد.[1]

أما فيما يخص مجال التعليمات، فكان "لعبد الرحمن الحاج صالح" الأثر الواضح حين كان ينتقد منهجية تلقين الدروس، ويقدم البدائل النوعية التي ترقى بالدرس لأن يكون مفهوما[2]. فنراه يبحث ويكتب في الأسس العلمية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، وفي الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية ،وفي علم التدريس اللغات والبحث العلمي منهجية الدرس اللغوي، وفي حركة التعريب في النظام التعليمي في الجزائر.

1- مباحث في ودراسات أحمد حساني، ص/53.

2- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/228-240.

الفصل الأول

الجذور الأولى لظهور اللسانيات

المبحث الأول: المجال المفاهيمي الدلالي لمصطلح اللسان

المبحث الثاني الدراسات اللسانية قبل علم اللغة

المبحث الأول: تحديد المجال المفاهيمي الدلالي لمصطلح اللّسان

تمهيد:

قبل الخوض في تعريف "الحاج صالح" لعلم اللّسان، يصرح الأستاذ أنّ التحديد الروتيني لعلم اللّسان من قبل الباحثين العرب أصبح أشبه بالحشو أو اللغو الذي لا فائدة منه، وهذا ما دفع به إلى إعادة النظر في مفهومه وتوضيح أغراضه "ورأى أن الأمر يستدعي النظر في العنصرين الّذين تضمنهما التحديد وهما: العلم أو الدراسة الموصوفة به، ثم اللسان الذي هو موضوعها"[1].

إن ما أفضت إليه جهود العلماء اليوم عن نزعات العلم الحديث وطرق تحصيله أدى إلى بناء نظرية جديدة في المعرفة العلمية (***Epistémologie***) لتتبين لنا بوضوح الفكرة العلمية الأساسية التي بنيت عليها مفاهيم علم اللسان* ومناهجه الجديدة ولأنّ المعرفة العلمية تتمايز عن المعرفة العادية الفطرية في كثير من صفاتها، فهي قبل كل شيء معرفة عامة لا تتعلق بأعيان الأشياء بل تتجاوزها إلى القدر المشترك الموجود في كل منها، أي: الأوصاف المستمرة التي يُسَمّيها العرب أصولا، فكل مفاهيم العلم مبنية على هذا الأساس سواء كانت مشاهدة أم استنباطا أم استنتاجا أم قانونا أم مبدءًا(...)

فكلما ارتفعت في درجات العموم والاطراد كانت أَفيد وأقرب للحقيقة، ثم الوصف الثاني الذي تعارفه الناس في هذه المعرفة هو الموضوعية (***Objectivité***) ويعني العلماء المحدثون بذلك الصفة التي تكون عليها معلومات الشخص عند مطابقتهما التامة للواقع الخارج[2].

1– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/22.

*** اتخذ هذا المصطلح عدة تسميات: فقه اللغة، وعلم اللغة قديما ثم علم اللسان والألسنيات، والألسنية حديثا.**

2–ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/24.

فمن المعلوم أن للعلم منبعين هما: مشاهدة الظواهر وعيانها، أو كما يقول أسلافنا تصفح الأمور وتتبعها –بدون انقطاع– ثم إجراء العمليات العقلية على محصول المعاينة، أي على المعطيات التي ثبت وجودها وتيقّن الباحث من صحتها وموضوعيتها.

هذان المنبعان يسميهما علماء العرب الحس والنظر[1]، وهذا ما أشار إليه "التواتي بن تواتي" في كتابه "مفاهيم في علم اللّسان "حيث قال:" فيعنون بالحس كل تجربة حسية مهما كانت، ويعنون بالنظري العملية العقلية مثل الاستدلالات والمحاكمات، فالحس كلنا مشتركون فيه، وبالحس نستقبل ما يأتينا من الخارج على شكل مادة خام، ويسمى أيضا الضروري، لأنه مفروض على الإنسان قبوله، ويتمثل له ذلك فيما يلي: المشاهدة المباشرة ونعني بها الملاحظة، الاستقراء واستنباط القوانين، التقسيم والتجريد*، التعليل والاستنتاج والافتراض"[2]

فالمعرفة تتصف بأنها اختيارية عقلية أو تجربة نظرية فهي نتيجة لسلسلة من العمليات التحويرية والتنظيمية يقيمها العقل على مادة الحواس، وهذا بعينه قاله النحاة العرب بالنسبة للمعرفة النحوية، فقد قالوا: "إنّ النحو هو معقول من المنقول"، وهو ما نوّه به "الحاج صالح".

وقد بالغ بعض المفكرين قديمًا وحديثًا في تفصيل أحد الطرفين على الأخر، فمنهم من تمسك بالحس تمسكا شديدا جعله ينفي دور العقل أو يُقَلّل من أهميته في تحصيل المعرفة العلمية، وزعم هؤلاء أن كل معلوماتنا إنما هي نتيجة لأحاسيسنا كما يزعم أصحاب المذهب التجريبي المتطرف، أو كما تواتر علينا من الأخبار، فالذات عندهم عبارة عن قطعة شمع تنطبع بما يقع عليها من خارجها، فهي

1- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/25.

* يقول تمام حسان في هذا الموضوع: والتقسيم والتجريد أساسيان لكل نشاط علمي أيا كان نوعه والقصد بالتجريد خلق الاصطلاحات التي تدل على الأقسام ويظل الباحث الذي لا يعتمد على هذين الأساسين تائها في فوضى من المفردات المبعثرة، مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص/201–202.

2- مفاهيم في علم اللّسان ،التواتي بن التواتي ،ط2،دار الوعي، الجزائر، (د ت ن)،ص/30-33.

دائما منفعلة غير فاعلة، ومنهم من جعل له حدا لا يتعدّاه، فالحس يأتي عندهم في المرتبة الأولى، وأما النشاط الذاتي، فهو ينحصر فقط في ترتيب المحسوس، ولا يمكن أن تحصل المعرفة إلا إذا حصلت أولا المادة الاختبارية التي هي الجوهر الرّئيسي.

أما الطرف الآخر فما رأينا أحد يفضل العمليات العقلية في ذاتها والفرضيات البحتة البعيدة على التجربة بكيفية مطلقة مثل الباحثين المنتمين إلى مدرسة النحو التفريعي والتحويلي أو ما يسمى بالفرنسية ***Grammairegènèrativetronsformationnelle*** وزعيمها " ***Chomsky***" التي ظهرت في القرن الماضي[1].

وقد نوّه "أحمد محمد قدور" إلى كلمة العلم لأنّ أول ما يطلب في الدراسة العلمية هو إتباع طريقة منهجية، وانطلاقا من أسس موضوعية ،يمكن التحقق منها وإثباتها وقد تم التحقيق من قبل العلماء كالآتي: العلم هو عبارة عن بحث موضوعه دراسة طائفة معينة من الظواهر لبيان حقيقتها والكشف عن القوانين خاضعة لها في مختلف نواحيها[2].

لقد تعلق "الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح" بالفكر اللغوي القديم الذي يمثله الخليل بن احمد وتلميذه سيبويه فزيادة على بعثه التراث اللغوي العربي فإن له الفضل الكبير في تصحيح الكثير من المفاهيم القديمة وتأصيلها وتدقيق المصطلحات العلمية المرتبطة بعلم اللّسانيات[3].

فمن بين هذه المصطلحات كان مصطلح اللّسان الذي فضله على لفظ اللّغة، لهذا التفضيل طبعا بيان: أولهما: الأصل في استعمال هذا اللّفظ "اللّسان" ما نجده في القرآن الكريم قال تعالى:

1 – ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمان الحاج صالح، ص/ 25–36

2– ينظر: مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، سوريا– دمشق، ط1، 2001، ص/11.

3 – الأستاذ الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح وجهوده في التراث اللغوي، محمد خان، كلية الآداب واللغاتّ،جامعة محمد خيضر،بسكرة،الجزائر،2009، ع5،ص/31.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾[1].

وقال عزّ وجل: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣ ﴾[2]

وورد لفظ "اللسان" بالمعنى نفسه دالا على "اللغة" في الحديث الشريف وجميع مؤلفات العرب الفقهية وكلامهم من شعر ونثر، يقول طرفة بن العبد:

وإذا تَلْسِنُنِي أَلْسُنُهَا إِنِّي لَسْتُ بِمَوْهُونٍ غَمِرْ

أي أكلّمها باللغة التي تفهمها واللسان الذي تريده[3].

وثانيهما: أن لفظة "اللغة" كانت تطلق على النحاة واللغويين زيادةً على ما يفهم من تحديد ابن جني لها – بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم– وهو اللسان بوجه عام.

وبعد تتبع مفهومي العلم واللسان بوصفه موضوعا للدراسة العلمية خلص" عبد الرحمن الحاج صالح" إلى تخصيص تسمية علم اللّسان: بـ "اللّسانيات" كما نقول الرّياضيات أو البّصريات[4]،

1– سورة إبراهيم الآية [04]

2– سورة النحل الآية [103]

3– اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات، خليفة بوجادي، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2012، ص/09.

4– ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/38.

ويعتبرها فرعا من علم أوسع وأعم منها هو علم الدلالة "***Sémiologie***"* ولم يتقيّد في إعطاء مفهوم عام وشامل للسانيات.

هذا وينبغي الآن أن نحدد مفهوم علم اللّسان حسب ما عرّفه العلم الحديث، وحسب ما اصطلح عليه علماء اللسانيات، أي باعتباره موضوعا من مواضيع البحث العلمي [1].

1-علم اللسان عند العرب:

بالرغم من حداثة هذا العلم فإن مفكراً عربيًا سبق الغرب إليه وإلى تحديد موضوعه، وإن لم يكن سمّاه "علم اللغة" بل سمّاه "علم اللّسان" ربما كان لأصالة كلمة اللسان في العربية وأخواتها الساميات، قال تعالى:﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤**﴾[2] أي بلغتهم، وقال تعالى واصفا القرآن: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥**﴾[3]، ولذا آثر الفارابي استخدام كلمة لسان على كلمة اللغة [4] كما نقل عنه "محمد علي عبد الكريم الرديني" في كتابه إحصاء العلوم، والجوانب التي يدرسها "علم اللّسان" عند الفارابي هي: الأصوات والألفاظ المفردة "الدلالة" والألفاظ المركبة، وبناء الكلمة وبناء الجملة[5].

---

* هذا المعنى يخالف رولان بارت القائل: بشمولية السيميولوجيا على اللسانيات ويوافق رأي دي سوسير صاحب التباشير الأولى لعلم السيميولوجيا الذي يقول بان هذا الأخير أعم من علم اللغة العام.

1- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/38.

2-سورة إبراهيم [الآية: 4].

3- سورة الشعراء [الآية 195].

4- فصول في علم اللغة العام، محمد علي عبد الكريم الرديني، دار الهدى الجزائر، 2007، ص/37.

5- ينظر: إحصاء العلوم، الفارابي، ص/47. نقلا عن فصول علم اللغة العام، محمد علي عبد الكريم الرديني، ص/38.

وإن كان يؤخذ عليه أنه أدخل في علم اللّسان ما لا صلة له بالنظام اللغوي كالخطّ والأدب، ومع هذا فإنّ بعض اللغويين المحدثين من لا يروم غضاضة في عَدِّ ذلك من مجالات علم اللغة الحديث فيما يتصل بالفيلولوجي، الذي يعنى بدراسة الخطوط والنقش لأنها وسيلة إلى دراسة النصوص القديمة.

وإذا كان "الفارابي" (ت339 هـ) قد قرب مفهومه لعلم اللسان من مفهوم علم اللغة الحديث فإن "طاش كبرى زادة" – مع ما بعد زمنا بينهما– لم يختلف عنه كثيرا، فالعلوم اللغوية عنده: مفردات ومركبات؛ فالمفردات تتمثل في: علم مخارج الحروف وموضوعه الأصوات وعلم اللغة وموضوعه الألفاظ، دلالاتها وبنيتها، والمركبات وتتمثل في: النحو وعلوم البلاغة والعروض، وهكذا نجده استبدل بالخطّ والأدب علوم البلاغة والعروض[1].

وقد استخدم مصطلح علم اللغة عند بعض المتأخرين من اللغويين العرب أمثال "الرضي الإستراباذي" (ت 686هـ) في شرح الكافية حيث يعرفه على أنه علم الألفاظ المعنية السماعية؛ أي الألفاظ المفردة التي هي أعيان مشخصة وأفراد وجزئيات مادية وما بمنزلتها كالعبارات الجامدة المسموعة يتكون منها اللسان وهذا يقابل النسبة والعلاقات الناتجة عن التركيب، وفي موضوع علم النحو بمعناه العام فدراسة مجموعة المفردات المندرجة في اللّسان هي علم اللغة، أو علم متن اللغة، ومقابلها باللغات الأجنبية ***lesciologie***.

وقد اختار"ابن خلدون"(ت 808 هـ) في مقدمته لفظة علم اللّسان العربي لتعلقها بأربعة أركان هي: "علم النحو، علم اللّغة، علم البيّان، علم الأدب "[2]، والمعنى أن هذه العلوم تشمل الدراسات اللغوية والأدبية جميعا.

1– مفتاح السعادة ومصباح السيادة، طاش كبرى زادة، حيدر آباد الدكن، الهند، 1328هـ –1356م، ص/99–100–144. نقلا عن فصول علم اللغة العام، محمد علي عبد الكريم الرديني، ص/39.

2– مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1998، ص/177.

وقال في تعريف هذا العلم –علم اللغة– " هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه، ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم، حتى أتى الفساد إلى موضوعات الألفاظ فاستعمل الكثير من كلام العرب في غير موضعه عندهم ميلا عن هُجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدريس خشية الدروس وما ينشأ من الجهل بالقرآن والحديث، فشمّر الكثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين " [1].

يفهم من التعريف السابق أن علم اللّغة هو بيان الموضوعات اللغوية، أي معاني المفردات، ثم يذكر "ابن خلدون" أنّ الفساد في موضوعات الألفاظ قد وقع بعد فساد الألسنة في الإعراب، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين خشية الدروس، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث، ثم يذكر أن الخليل كان السابق في ذلك فألف معجم (العين) ثم جاء من بعده فألفوا في ذلك كالزبيدي والجوهري والزمخشري فوضعوا المعاجم.

ويقول أبو حيان النحوي في الفرق بينه وبين النحو: " والفرق بين علم النحو وبين علم اللغة أن علم النحو موضوعه أمور كلية، وموضوع علم اللغة أشياء جزئية، وقد اشتركا معا في الوضع " [2] ويقصد بالأمور الكلية التراكيب وبالأمور الجزئية المفردات.

وبدأ الاهتمام يتبدى في دراسات بعض الباحثين في مجال علم اللّغة لتكشف معالمها فظهرت التّسمية الجّديدة (***Linguistique***)اللّسانيات أو علم اللّغة، وتذكر" نور الهدى لوشن" في دراسة حديثة "لأحمد مختار عمر" نشرها سنة 1989م جنح إلى تفضيل مصطلح "الألسنية"[3] على

1– المقدمة، ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 2004، ج2، ص/372.

2– المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار إحياء الكتب، ط3، (د،ت)، ص/43.

3– مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، مصر، (د ط)، 2008، ص/35.

مصطلح "اللسانيات"، بينما يرى الدكتور "كمال بشر" في كتابه "دراسات في علم اللغة" أنّ بعض الباحثين المحدثين ما يزالون يستخدمون مصطلح اللّغة وعلم اللّغة ومتن اللغة بالمعنى القديم غير ناظرين إلى ما يستتبعه هذا الاستعمال من غموض وما ينطوي عليه من تساهل[1].

ومع ما سبق نذكر أن أغلب الباحثين اليوم يستخدمون مصطلح (علم اللغة) ليعني ما يعنيه المصطلح(***Linguistique***)، أن علم اللغة اليوم أصبح يعني مجالا أوسع مما كان يعنيه قديما من البحث في المفردات، وأصبح له منهج مخالف لمنهج القدماء في الدراسة، إنه يعني الدراسة العلمية للغة أي الدراسة التي تستخدم المنهج العلمي في دراسة الموضوع، وموضوع هذا العلم هو: اللغة بجوانبها المتعددة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية.

ويجيز الأستاذ "التواتي بن التواتي" في كتابه "مفاهيم في علم اللسان" أن الغاية من هذا العلم هي التطلع إلى أسرار اللسان كظاهرة بشرية عامة الوجود، ومن ثم إلى القانون الذي يضبط بنيته ومجاريه وتطوره على مرّ الزمان وكيفية استعمال الناطقين به وغير ذلك بالاعتماد على أمرين[2]:

1) مشاهدة الظواهر اللغوية الجزئية ثم استنباط قوانينها.
2) الاستدلال العقلي والعملية الافتراضية الاستنتاجية.

وعلى هذا الأساس نجد أن علم اللسان عند "الحاج صالح" يهتم بالنظام الكلي لا بأجزائه: أي أنه يلتفت إلى البنية ذاتها، وإذا انتقل إلى أجزائها فمن أجل التعمق في فهم أسرار البنية ومن ثم فالغاية التي ينشدها هذا العلم هي إثبات العلاقات والنسب بين الظواهر اللغوية على شكل علمي دقيق[3].

كما قدم الدكتور "الحاج صالح" مقابلة بين المفهوم القديم والمفهوم الحديث لعلم اللّسان[4] يمكن أن نوجزها فيما يلي:

1–دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار المعارف، ط2، 2008، القسم الثاني، ص/39.

2–مفاهيم في علم اللسان، التواتي بن التواتي، دار الوعي، الجزائر، ط2، 2008، ص/25.

3– ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/25.

4– ينظر: المرجع نفسه ، ص/24.

علم اللسان قديما	علم اللسان حديثا
استعمل علماؤنا هذه التسمية للدلالة على كل دراسة خاصة مميزا لها لما هو خارج عنها من علم أصول الفقه وعلم الكلام، وعلم الحديث، وعلم المنطق، وعلم الحساب وغيرها من الفنون المعروفة ولقد وردت هذه اللفظة في كثير من المؤلفات كمقدمة ابن خلدون ويتضمن علم اللسان: علم أوضاع المفردات وعلم النحو، أوضاع المركبات بما فيها علم الصرف ويتناول أيضا علم البلاغة علم التبليغ الفعال أي دراسة الأساليب الكلامية التي لها تأثير في مشاعر المخاطب كما هي، استعملوا أيضا لفظ علم اللسان العربي للدلالة على هذه الفنون التي ذكرناها لكنها مقصورة على اللغة العربية فقط، وكان العلماء الأولون: أبو عمرو بن العلاء (ت154ه) وأصحابه والخليل (ت175ه)وسيبويه(ت180ه) وأصحابهما يعبرون عن هذا المدلول بلفظ العربية أو علم العربية.	ترجمنا لفظ (Linguistique) بمفهومه الحديث بعلم اللسان وموضوعه في نظر العلماء المحدثين هو اللسان البشري وهو يتعرض للأحداث اللسانية كعلم بحت يهتم: 1) بالموضوعية المطلقة. 2) بمشاهدة الظواهر اللغوية بأجهزة أو بغير أجهزة. 3) الاستقراء الواسع المستمر "إجراء التحريات المنظمة". 4) بالتحليل الإحصائي. 5) باستنباط القوانين العامة. 6) باستعمال المثل والأنماط الرياضية اللائقة. 7) بتعليل هذه القوانين وجعلها معقولة. 8) وأخيرا ببناء النظريات العامة الفعالة القابلة للتطوير ونظرته إليها إما زمانية أوتطورية وإما آنية مكانية، ويهتم قبل كل شيء بالنظام الكلي.

2- علم اللسان عند الغرب:

يعد علم اللّغة من أهم الفروع المتعلقة بالدّراسات اللّغوية التي تشمل دراسة اللّسان البشري بوجه عام ودراسة الألسنة على اختلافها بوجه خاص، ولم يختلف "جونز ليونز" في تعريفه لعلم اللغة كما جاء عند أكثر المحدثين، غير أنه أطلق مصطلح العلوم اللغوية على كل من علم اللغة ***linguistics*** وعلم الأصوات ***phonetics***، إلا أن مصطلح علم اللغة هو الأكثر شيوعا[1]. فهو يعرّفه بأنه العلم الذي يختص بمجال اللغة أو أنه الدراسة العلمية اللغوية.

أمّا المجال الرئيسي لعلم اللسان فيعتمد في إثباته على تعريف" أندري مارتيني" (***Andrémartinet***) للسان، فيقول: اللسان أداة تبليغ يحصل على مقياسها تحليل ما يخبره الإنسان على خلاف بين جماعة وأخرى، وينتهي هذا التحليل إلى وحدات ذات مضمون معنوي وصوت ملفوظ وهي العناصر الدالة على معنى ***monèmes*** ويتقطع هذا الصوت الملفوظ بدوره إلى وحدات مميزة ومتعاقبة هي العناصر الصوتية أو (الوظيفية) (***Phonèmes***)، ويكون عددها محصورا في كل لسان، وتختلف هي أيضا من حيث ماضيها والنسب القائمة بينهما باختلاف الألسنة[2].

ولم يدرج "الحاج صالح" هذا التحديد اعتباطا، بل أدرجه لدقته في جمع المحتويات والصفات اللازمة لمفهوم اللّسان التي لا تفارقه، ويشرح هذه الصفات كالآتي:[3]

1- أنّ اللّسان أداة تبليغ: ويحوي عنصران: الأول هو الوظيفة التي توحي به كلمة أداة وتعني الجهاز الخاص لتحقيق مهمة التبليغ، والثاني التخاطب الذي توحيه كلمة تبليغ، ويقتضي التخاطب بدوره

1- ينظر: علم اللغة، جونز ليونز، تر: مصطفى التوني، دار النهضة العربية، 1987، ص/49.

2- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/41.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص/42-43.

شيئين: الأول جهاز تحقيق التبليغ وهو ليس خاصا باللّغة، والثاني وهو المواضعة والاصطلاح الخاصان بالنظم الاجتماعية الخاصة.

2- تحليل اللغة للواقع: وهذا عمل آخر موازي للتبليغ فالإنسان "يحلل من خلال استعماله كلغة الواقع الذي يعيش فيه"[1]، ويؤكد هنا أن هذا التحليل يختلف من لغة لأخرى لأن لكل لغة نظرة خاصة.

3- خاصية التقطيع المزدوج للغة[2] : ويأتي على مستويين: الأول التقطيع الأولي (***premièrearticulation***) الذي يقع على مدارج الكلام وينتج عنه تحديد العناصر الدالة على المعاني الافرادية، وهي الكلم ويطلق عليها "مارتيني" (***Monème***) أما المستوى الثاني وهو التقطيع الثانوي فيخص الوحدات الدالة نفسها ويفضي إلى عناصر صوتية مجردة من المعنى أي غير دالة[3] ويطلق عليها مارتيني (***phonème***).

وتجدر الإشارة إلى أن (***Andrémartinet***) قد عرض في كتابه مبادئ الألسنية العامة لمصطلح "الألسنية" وهو يرادف عنده ما اشتهر عند معاصريه بمصطلح علم اللّغة، ويعرّفه بقوله: "الألسنية هي الدراسة العلمية للكلام عند الإنسان، ويقال عن الدراسة بأنها علمية عندما ترتكز على ملاحظة الوقائع وتمتنع عن اقتراح أي اختيار من بينها باسم بعض المبادئ الجمالية أو الأخلاقية"[4]، ويفهم من التعريف السابق أن علم اللّغة لا يدرس اللّغات غير البشرية كلغة النحل ولغة الزهور وإشارات المرور وكل علامة غير منطوقة.

1- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة، الجزائر، ط2، 2000، ص/26.

2- أهم مبدأ تبنى عليه أفكار مارتيني، فهو الميزة التي ينفرد بها النظام اللساني البشري دون غيرها من الأنظمة الاتصالية الأخرى كلغة الحيوان. ينظر: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، أبحاث للترجمة والنشر، لبنان، ط1، 2006، ص/18.

3- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/44.

4- مبادئ ألسنية عامة، أندري مارتيني، تر: ريمون رزق الله، دار الحداثة، بيروت، لبنان، دط، 1990، ص/10.

أما "جورج مونان" (***J- Monin***) فيرى أن الألسنية هي علم اللغة؛ أي أنها الدّراسة الموضوعية والوصفية المفسرة لبنية الألسن (***leslangues***) الطبيعية الإنسانية، ودراسة عملها (علم اللغة التزامني) ودراسة تطورها عبر الزمن(علم اللغة التعاقبي)[1]، لأنّ علم اللغة يستقي مادته من اللغات الإنسانية الطبيعية من منظور مفهمومي التزامنية والتعاقبية فالأولى تتناول لغة معينة في فترة معينة من الزّمن، أما الثانية فتتناول دراسة تطور لغة معينة عبر الزمن، أي أنها تاريخية.

إذن من خلال ما سبق ذكره عن الدّراسة العلمية لعلم اللّسان ومفهومه عند "الحاج صالح"- رحمه الله- وبعض الباحثين في اللغة قديمهم وحديثهم تبيّن لنا أن علم اللّغة يعني الدّراسة العلمية للكلام البشري ،ومعرفة أبنيته ودراسة مفردات الألفاظ وألفاظ اللّغة من حيث عملها وتطورها وفق منظور علماء اللّغة المحدثين، أما وفق منظور علماء اللّغة القدامى فيعني دراسة الألفاظ وبيان الموضوعات اللغوية المتمثلة في صناعة المعاجم وكتب المفردات.

وفي ما يلي مخططين سنبرز في المخطط الأول نوع التقارب بين مفهوم علم اللّغة عند القدماء العرب والمحدثين، أما المخطط الثاني فسوف نلخص فيه ما توصل إليه الحاج صالح- رحمه الله-إلى المجال المفهومي للسانيات:

1- ينظر: الألسنية الفروع والمبادئ والمصطلحات، هيام كريدية، مطبوعات جامعية، ط1، 2003، ص/04.

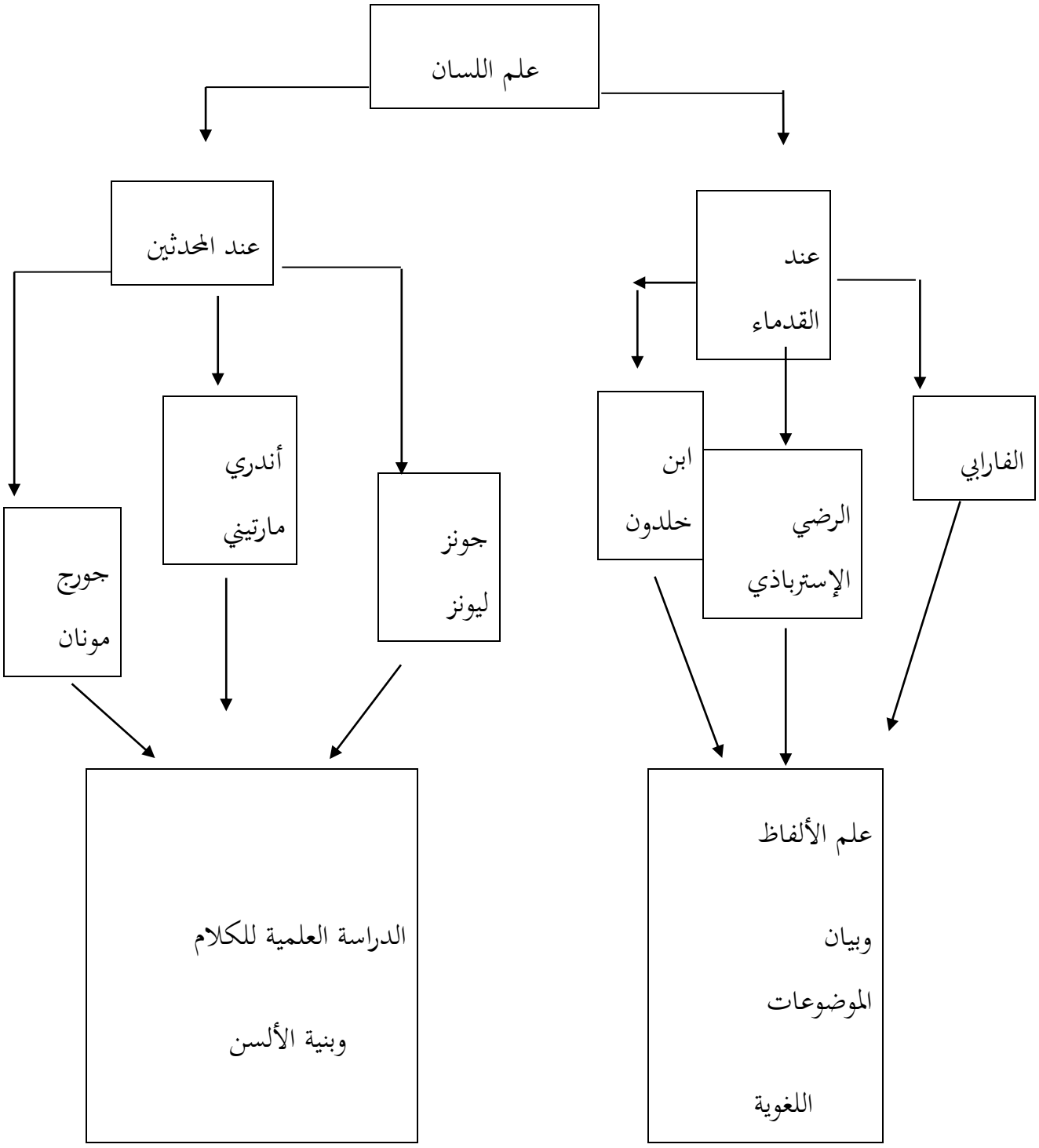

مخطط توضيحي يبرز نوع التقارب بين مفهوم علم اللغة عند القدماء العرب والمحدثين.

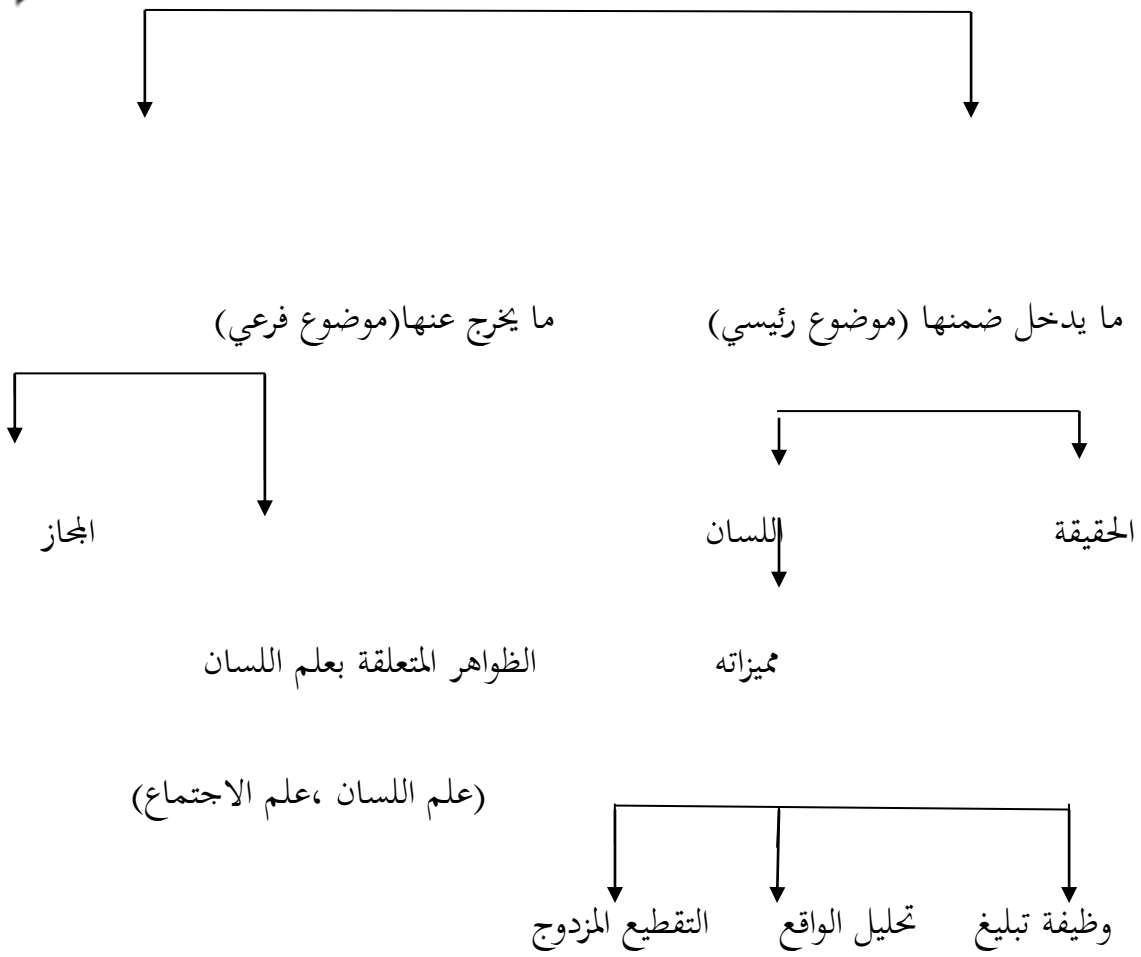

المجال المفهومي للسانيات عند عبد الرحمن الحاج صالح

المبحث الثاني: الدراسات اللسانية قبل علم اللغة الحديث.

تمهيد:

لم تعرف الدّراسات اللّغويّة ما يراد بمصطلح علم اللّغة ومناهجه قبل عصر النهضة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، حتى خضعت العلوم والمعارف الإنسانية والطبيعية للمنهجية والتجريب.

وليس من القصور عقلا أن ينشأ علم اللغة – كاملا أو قريبا من الكمال– من فراغ بل التصور المنطقي يقتضي أن يفيد من جهود العلماء الذين عبدّو الطريق أمامه وقطعوا في ميدانه أشواطا قاربوا بها الوصول إلى غايته، وقد نقل "الحاج صالح" قولا "لجورج مونان" (***George mounin***) يُحدد فيه تاريخ نُشوء اللّسانيات فقال: "فمن الممكن أن يقال أنها نشأت في القرن الخامس قبل الميلاد أو في سنة 1918م مع بوب (***Boom***) أو في سنة 1916م مع دو سوسير أو في سنة 1926 مع تروبتسكوي ***Troubetzkoy*** أوفي سنة 1956 مع تشومسكي"[1].

وعلق "الحاج صالح" على هذا القول: إنّ هذا القول لوجيه جدا أو لا ينقصه إلّا نظرة الباحث الذّي اطلع على ما أنتجه العلماء العرب القدامى في هذا الميدان، إذ ربما تفضي نظرته إلى اللّسانيات واطلاعه على علوم العربية، إذ أن يجعل مبدأ انطلاق الدراسة العلمية للّسان في القرن الثاني للهجرة، أو بالأصح في فترة ما بين 100و 175 بعد الهجرة و(175 هي سنة وفاة الخليل بن أحمد)، ولكن هذه وجهة نظر ليس إلا[2].

1– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/48.

2– ينظر: المرجع نفسه، ص/49.

2-1 أقدم تحليل علمي للّسان البشري (الحضارات القديمة):

إذا كان علم اللّغة يعد المظهر الحضاري الحديث لعناية الإنسان باللّغة، فإنّ مظهر عنايته بها في القديم قد أخذ شكل المحافظة عليها بالتسجيل والتدوين واصطناع الرموز الكتابية ويشير "الحاج صالح" في كتابه إلى هذا. فكانت الكتابة تصويرًا رمزياً للهجاء بعد أن كانت تصويرًا رمزيًا للمعاني فإنّ مجرد وجود كتابة مثل هذه في تلك العصور العتيقة(ق15ق م) لَدليل واضح على قدم البحث والتنقيب عن مباني اللّسان[1].

وهذا ما أشار إليه "أنطوان ميي" (Antoine Meillet) من أنّ الذين اخترعوا الكتابة وحسّنوها هم في الحقيقة من أكبر اللغويين، بل هم الذين ابتدعوا علم اللّسان[2]، ذلك أن ما اختاروه من الرموز الخطية لتمثيل التقطيعات الصوتية الأولية يقتضي أنهم قد حَلّلُوا بالفعل مدارج الكلام على نفس الكيفية التي يجريها اللغويون المعاصرون على الكلام.

ويستمر "الحاج صالح" في حديثه عن قدم المحاولات التحليلية لمباني اللّسان فيقول: إن فكرة استقراء النص القرآني وتصفح الظواهر اللّسانية العربية من خلال هذا النّص الكريم وكلام العرب وأشعارها واستنباط قوانين العربية بهذه الطريقة وحدها واختراع نظام من الرموز الخطية لضبط النص القرآني وتصحيح قراءته[3]، إنها لفكرة قد مهدت في انطلاق بحوث علمية في اللسان العربي ولولاها لما اتسعت دائرة الاجتهاد فيه ولا امتدت مناحيه .

1- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح ، ص/51.

2- المرجع نفسه، ص/52.

3- المرجع نفسه، ص/54.

ثم نجد "الحاج صالح" يشير إلى وجود معجمات مزدوجة اللّغة تجمع بين السومرية والأكادية في هذه العصور السحيقة في القدم، ووجود قواميس بأربع لغات عند الفينيقيين، وهذا مظهر من مظاهر عناية الإنسان في بدأ تحضره بلغته، تجلت في مقابلة مفردات لغة بمفردات لغة أخرى.

وهذا أيضا قد أشاد به "خليفة بوجادي" في كتابه "اللسانيات النظرية" حيث يذكر" بأن لديهم بوابات في تصنيف المعاجم، تمثلت في علم اللوائح(السومرية) الذي يشمل إشارات مسمارية ذات مدلول متعدد: "إشارة تشبه المربع تفيد الفم والكلام وفعل تكلم والأنف"، ويشمل كذلك إشارات للحيوانات وأنواعها، شروحا ثنائية اللغة: سومرية، أكادية، جورية و أوغاريتية، وإحصاء المفردات " تتجاوز 900 مفردة" ومعانيها نحو: رسم عصفور+ بيضة =ولادة، امرأة + حبل ="رقيق"[1].

والواضح أن تاريخ البحث في اللّغة قديم جدا يعود به بعض المؤرخين إلى اكتشاف أول نظام كتابي في الحضارة المصرية والسومرية في العالم القديم، كما فعل "مونان "في كتابه (تاريخ علم اللغة)، ولكن نظرا لقلة الوثائق التي بين أيدي الباحثين عن هذه الحقبة فضل كثير من المؤرخين أن يبدأو هذا التاريخ بالهنود كما فعل "بلومفيلد" (***Bloomfield***) وجيسبرسن (***Jespersen***) وروبير (***Rouber***) وفيما يلي تفصيل للدراسات اللغوية عند الهنود.

2-2/ الدراسات اللغوية عند الهنود:

الهنود هم أول من ثبت تأريخيا إسهامهم في حقل البحث اللغوي بصورة جلية، ذلك أن العلوم اللّسانية عندهم من الانجازات الإنسانية القديمة التي لا تزال ترن لها معاهد العلم في القرن الواحد والعشرين.

1– اللسانيات النظرية ، خليفة بوجادي، ص/16.

ويستهل "عبد الرحمن الحاج صالح" حديثه عن تطور هذه الدراسات فيقول: تطورت هذه الدراسات بخاصة في القرن الخامس قبل الميلاد على يد نفر غير قليل من الباحثين يتقدمهم اللّغوي الهندي المشهور بانيني* (***Panini***) بكتابه الأست أدهيايي معناه الكتب الثمانية ، وهو كتاب يتألف من أربعة آلاف "سوترة" ويعنون بذلك ما نريده نحن بجوامع الكلم (...)ولهذا الكتاب شروح كثيرة أشهرها وأهمها الـ" مهابها سهيا" معناه: الشرح الكبير للنحوي الهندي المشهور باتنجالي[1].

ويذكر الدكتور "أحمد مومن" في مؤلفه "اللسانيات النشأة والتطور" أن الدكتور "أحمد مختار عمر" يرى في "كتابه البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب" أنّ بانيني هو خير النحاة الوصفيين القدماء ويتميز النحو البانيني بخصائص ثلاث، كان قد نادى بها من قبل واتخذها مقاييس موضوعية في دراسة كل ظاهرة لغوية، وقد تبنّت اللّسانيات الحديثة هذه المعايير العلمية وعدّتها منطلقات أساسية ومنهجية في كل دراسة لغوية وهذه المعايير هي:

-الشمولية: (***ExhaustiveNess***) أي الدّراسة الشاملة لكل الجوانب المتعلقة باللّغة.

-الانسجام: (***Consistency***) أي عدم التناقض الكلّي والمستمر في دراسة الظاهرة اللغوية.

-الاقتصاد: (***Economy***) أي الاقتصاد في استخدام الكلمات والإيجاز في التعبير عن النتائج، وذلك باستعمال أسلوب علمي محض، يسود فيه الاختصار وتستعمل فيه رموز الجبر، ويتفادى فيه الحشو والتكرار[2].

ويشير" يوسف صادق الدبّاس" في كتابه "دراسات في علم اللّغة الحديث "أنّ نشأة البحث اللغوي تعود إلى قرون قبل الميلاد ويتفق معظم الباحثين اللغويين والمؤرخين على أن بدايات البحث اللغوي كانت عند الهنود في القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد على يد بعض اللغويين الهنود وعلى

*نحوي هندي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد.

1- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/62.

2- اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ص/14.

رأسهم إمام النحويين بانيني (***Panini***) فظهور السنسكريتية التي هي أساس أداة الأدب "الفيدي" الكتاب المقدس لديانة الهنود ولعل اهتمامهم بدراسة لغتهم في هذا الوقت المبكر كان لهدف ديني في المقام الأول من أجل قراءة نصوص الفيدا قراءة صحيحة[1].

وللإشارة فقد بلغ عدد الكتب الهندية اللّغوية ما يفوق الألف، وكانت عندهم ما لا يقل عن عشر مدارس مذاهب في النحو واللغة[2].

ويخطئ كل من يظن أن الدراسات اللغوية عند الهنود كانت كلها تقليدية كما هو الحال بالنسبة للدراسات الإغريقية، وفي هذا الصدد يُقرّ "الحاج صالح" أن" الهنود قد بنوا دراساتهم اللغوية على المشاهدة والاستقراء(...) فما خرجوا إلى تلك المعارف من نظرية سابقة، بل تصفّحوا جزئيات لغتهم ومجاري كلامهم من مشافهة بعضهم البعض(...) وبالنظر في النصوص القديمة (...) فكانت مناهجهم بذلك علمية حقيقية مستوفية لجميع شروط العلم"[3].

وأيّد "عبد القادر شاكر" هذا حيث قال إنّ دراستهم للغتهم قد تميزت بالتنظيم والدقة، وأهم دراسة أظهروا فيها تفوقهم: الدراسات الصوتية خاصة، ثم النحو، ومَيَّزوا الفعل عن الاسم وحروف الجر والأدوات المتممة[4].

ونجد "صادق يوسف الدبّاس" قد أشار إلى ذلك وقرّر أنّهم قد درسوا لغتهم دراسة منظمة، فدرسوا اللغة بفروعها المتعددة مثل الأصوات، حيث درسوها دراسة متعمقة ودقيقة فاقت دراستهم في الفروع الأخرى ودرسوا النحو وَقسّموا الكلمة إلى فعل واسم وحرف وأدوات، ودرسوا المعاجم وفقه اللغة والاشتقاق.

1– ينظر: دراسات في علم اللغة الحديث، صادق يوسف الدباس، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012، ص/145.

2– ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/62.

3– المرجع نفسه، ص/63.

4– ينظر: إلى أين يتجه البحث اللغوي الحديث؟، عبد القادر شاكر، "مقال"، مجلة التراث العربي، ع86– 87، ص/134.

وهذا ما أكّده "بلوم فيلد" مبينا أثر الدّراسات الهندية على "علم اللغة الحديث": لقد وضع النحو الهندي أمام أوروبا للمرة الأولى، وصفا كاملا دقيقا شاملا للغة مؤسسا على الملاحظة العقلية وعلى الافتراضات النظرية[1].

لقد تفوق الهنود في هذا المجال تفوقا شديدا سواءً من الناحية النظرية أو التعليمية، وفي هذا الشأن قال ليونز: "إن التصنيف الهندي للأصوات الكلامية كان تفصيلها مُفَصّلا ودقيقا مبنيا على الملاحظة والتجربة ولم يبلغ أحد ما بلغه هؤلاء سواء في أوروبا أو غيرها قبل أواخر ق19م، بل إن كثيرا من الدّراسات تؤكد أن أوروبا هي التي تأثرت بالبحوث الصوتية الهندية القديمة التي قام بترجمتها بعض الباحثين الغربيين"[2].

وصرّح "جون فيرث" ***JohnFirth*** العالم الانكليزي المعروف أنه لولا النحاة والصوتيون الذين عرّفنا إياهم العالم الانكليزي "وليام جونز" لصعب علينا الآن أن نتصور مدرستنا الصوتية التي ظهرت في القرن التاسع عشر.

وخلاصة القول فإنّ هدف النحو السنسكريتي كان في جوهره هدفا تعليميا تطبيقيا غير أنه احتوى على مسلّمات عامة وحقائق علمية مجرّدة وبخاصة في حقل الصوتيات، وفي الحقيقة فإن اكتشاف السنسكريتية من قبل بعض الباحثين الغربيين كان من أبرز العوامل التي ساعدت على تطور اللّسانيات المقارنة؛ وأنّ النظرية النحوية التي وضعها بانيني كان لها أثر ملموس على لسانيات القرن العشرين.

1– ينظر: محاضرات في علم اللغة الحديث، أحمد مختار عمر، عالم الكتب للنشر، القاهرة – مصر، ط1، 1995، ص/14.

2John Lysons, Introduction to the oretical linguistics, London, 1968, p/20

2-3/ العلوم اللّسانية عند قدماء اليونانيين:

كان لليونان جهود موفقة في مجال البحث اللغوي شأنه في ذلك شأن تفوقهم في سائر العلوم الإنسانية، فقد اهتموا بدراسة جوهر اللغة، ومسائلها وحاولوا كشف أسرارها وكانوا في بحوثهم ميتافيزيقيين أكثر منهم واقعيين.

وفي حديث" الحاج صالح" إشارة إلى أهم مسألة اهتم بها الإغريق وهي مسألة الأسماء طبيعية النشأة هي أم صادرة عن تواطؤ الناس؟ وهذا الخلاف أدّى إلى ظهور ثلاث اتجاهات: اتجاه يقرّ بالمطابقة بين الاسم والمسمى بالطبع واتجاه يقر بأنه لا مطابقة بين الاسم والمسمى إلا بالوضع أو من قبيل الاصطلاح، أي أنّها وليدة العرف والتقليد، ورأي ثالث هو مزيج من الرأيين مع زيادات وتنقيحات[1].

وقد أشاد بهذه المسألة معظم الباحثين واللغويين في نشأة البحث اللغوي فكان "محمود السعران" في كتابه "مقدمة للقارئ العربي"، و"أحمد مختار عمر" في كتابه "البحث اللغوي عند العرب" قد نوّها بذلك إذ اتفقا على أنّ التفكير عند اليونانيين قد بدأ منذ نشأته مرتبطا بالفلسفة، وكان اللغويون الأوائل هم أنفسهم فلاسفة، وأن البداية الحقيقية لدراسة لغتهم كانت منذ زمن طويل، ترتكز على بنية اللغة ونشأتها ولم تكن تهتم بتطور اللغة وتنوعها[2].

وهذا أيضا ما عرضه "خليفة بوجادي" في "كتابه "اللسانيات النظرية" فبيّن أن اليونانيين تناولوا موضوع نشأة اللغة، حيث يذهب أفلاطون إلى أن للألفاظ معنى لازما متصلا بطبيعتها، أما أرسطو فللألفاظ عنده معنى اصطلاحي ناتج بين البشر (اصطلاح وتواضع)[3].

1- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/71.

2-ينظر: البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ص/61.

3-ينظر: اللسانيات النظرية، خليفة بوجادي، ص/18.

واستمر الجدال حول هذه المسألة طيلة قرون، ثم التحم بهذه المسألة مسألة أخرى وهي مناظرة حادة حول انتظام اللغة فنتج عن هذا اتجاهات، فأمّا الأول فكان يسمى بمذهب الـ ***Analogia*** ومعنى هذه اللفظة باليونانية التناسب وكان يعني بها الرياضيون: الأربعة المتناسبة التي شكلها: $\frac{أ}{ب} = \frac{ج}{د}$ فكان المقصود من هذا التناسب اللغوي عند النحاة من أهل هذا المذهب الصيغ لتكافؤ أصناف الكلمات التي صيغت عليها، أما الثاني فكان يسمى بمذهب الـ ***Anomolia*** ومعناه يقابل معنى الـ ***Analogia*** فهو عدم التناسب أو عدم الخضوع لعملية التناسب[1].

وحسب "جونز ليونز" فإنّ الجدال بين القياسيين والشذوذيين لم يكن جدالا تافها ناتجا عن رفض كل طرق الاعتراف بوجود فعلي للقياس والشذوذ في اللغة، بل إنّ الجدال تمحور حول نسبة القّياس في اللّغة ونسبة الشذوذ الظاهر الذي يمكن توضيحه من خلال التحليل والوصف في إطار نماذج بديلة[2].

لقد أشار "عبد الرحمن الحاج صالح" إلى تطور المدرسة الإسكندرية وعن أشهر نحاتها: أرسطارقوس المتوفى في (115 أو 145 ق.م) وديرنسيوس المتوفى (90 ق.م) وهو صاحب أول مؤلف في النحو (الجراماتيك) وتعرض فيه إلى عدّة مسائل وحدد هكذا الغراماطيقي: "هو المعرفة المتعمقة لكل ما هو راجع إلى اللغة بحسب الاستعمالات الشائعة عن المؤلفين نظما ونثرا"[3]. وقال أنّه ينقسم إلى ستة أقسام:

1. قراءة صحيحة تتفق مع قواعد النبر.
2. تفسير يتفق مع ما يجري استعماله مع صور البيان.

1– ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/72– 75.

2– ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ص/16.

3– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/77.

3.تحديد الألفاظ الغامضة والمعاني القديمة.

4.بحث عن أصول الكلمات.

5.بحث عن التناسب اللغوي.

6.نقد للشعر حتى يعرف أحسن[1].

ثم نجد "الحاج صالح "يتحدث عن محاولة أولئك النحاة في تحليل مستويات لغتهم؛ فبالنسبة إلى مرتبة الأصوات والحروف فقد اعتمدوا على من سبقهم إلى ذلك من الفلاسفة (أرسطو)، ثم تعرضوا إلى مستوى الكلم فأخذوا من الفلاسفة تقسيمهم لأنواع الكلم وأعادوا النظر فيه فأفضوا إلى هذه الأقسام الثمانية:

1. الفاصلة	***Articulus=arthvon***
2. الاسم	***nemen=onoma***
3. الخالق	***Pronomen=ant-onomya***
4. الكلمة	***verbum=rhème***
5. المشبه بالاسم والكلمة	***porticipium=net-ochikon***
6. تابع الكلمة	***adverbium=épirchéma***
7. أداة إضافة	***proepositio=pro-thesis***
8. الرباط	***conjunction=syndesmos***

وصرّح "خليفة بوجادي" أنّ اليونانيين لديهم عناية كبيرة بموضوع اللغة تحديدا، ويظهر ذلك من القضايا المعروضة في زمانهم نحو إدراكهم لمراحل التقطيع اللغوي (الأول والثاني) وتفريقهم بين حروف العلة والحروف الصحيحة منذ أوروبيدس (480- 385 ق.م)، وفي موضوع أقسام الكلمة ميّز أفلاطون بين الاسم والفعل وأرسطو أيضا في كتابه "فن الشعر" ميّز بين الحرف المتوسط والحرف

1- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/78- 79.

الصامت والمقطع، وأرجع التخاطب بأسره إلى: الحرف، المقطع، حرف العطف، أداة التعريف، الاسم والفعل[1].

1-4 الدّراسات اللّغوية عند العرب:

إذا كانت الشعوب جميعها تولي لغتها عنايتها البالغة بدافع من حرصها على أهم عناصر شخصيتها ومقومات قوميّتها فإنّ العرب قد عنوا بلغتهم بدافع من حرصهم على دينهم إضافة إلى ما تقدم، فقد قامت الدّراسات اللّغوية العربية حول القرآن بهدف صونه وصون اللغة التي نزل بها من التحريف، فإنّها الوسيلة إلى فهمه واستنباط الأحكام الدينية والدنيوية منه.

وفي حديث "لعبد الرحمن الحاج صالح" عن الدّراسات اللّسانية إشارة إلى الألفاظ التي كانوا يستعملونها على المفهوم العام الذي تصوروه لعلم اللّسان يقول: "لقد سبق لنا القول بأنّ لفظة اللغة كانت تطلق عند النحاة واللغويين على عدّة معانٍ"[2].

ثم نجد "الحاج صالح" يتحدث عن سبب تفضيله للفظ اللّسان على اللّغة في ترجمة كلمة ***الـLinguistics*** الأوروبية، والذي يبرز اختياره هو المفهوم العام الذي عرف للفظ (اللّغة) وأن الأصل في الدلالة عليه هو ما استعمل القرآن الكريم (لا توجد فيه كلمة أخرى لهذا المدلول غير لسان) والشعر الجاهلي والإسلامي وما نقل من كلام النحويين قبل وفاة سيبويه[3].

وقد أورد الدكتور "التهامي الراجي الهاشمي" اختلاف دلالة لفظة اللغة زمنيا إذ لم تكن كلمة اللغة تعني قديما ما تدل عليه الآن، لقد كانوا يعبرون كما توحي به عندنا في "عبارة" حديثه بكلمة

1- ينظر: اللسانيات النظرية، خليفة بوجادي، ص/19.

2- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/81.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص/82.

أخرى هي لسان تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية[1].

ويستمر" الحاج صالح" في حديثه عن استعمال هذا اللفظ للدلالة على المادة المستقراة التي تلقاها الناس من أفواه "اللغويين" ويعني بذلك: الأصمعي وأبا زيد الأنصاري وأبا عبيدة وغيرهم ممن كان يعتني بجمع اللغة أي "موضوعات اللّسان" ولعل المبرر الثاني الذي استخدمه "الحاج صالح" في اختياره لفظ اللّسان هو أن النحاة وغيرهم من العلماء العرب يطلقون غالبا على مفهوم الدراسة العلمية لظاهرة اللّسان بصفة عامة لفظ "علم اللّسان"[2].

وهذا ما أشاد به "حلمي خليل" في كتابه "مقدمة لدراسة فقه اللغة" بقوله: "يتردد في التراث اللغوي العربي عدد من المصطلحات للدلالة على دراسة اللغة العربية أو بعض جوانبها دراسة علمية منظمة وهذه المصطلحات تشير إلى لون من الدراسة اللغوية، يتصل بعضها بقواعد اللغة أو المفردات وتصنيفها في معاجم عامة أو رسائل لغوية خاصة، وقد يتصل بعضها بجوانب الدراسة اللغوية كلها أي بالأصوات والصرف والنحو والدلالة"[3].

وقد تعرض "الحاج صالح" إلى أهم النصوص التي بلغتنا عن مفهوم علم اللّسان عند العرب فكان كتاب (إحصاء العلوم) "لأبي نصر الفارابي" يقول: "علم اللّسان ضربان: أحدهما حفظ الألفاظ عند كل أمة ما، وعلم ما يدل عليه شيء منها، والثاني: علم قوانين تلك الألفاظ (...) وإن الألفاظ الدالة في كل أمة ضربان: مفردة، ومركبة، فأما المفردة كالبياض والسواد والإنسان والحيوان، والمركبة كقولنا الإنسان حيوان، وعمر أبيض، فالمفردة منها ما هي ألقاب أعيان زيدٌ وعمرو ومنها ما يدل

1- استعمل لفظة "عبارة" وأعني بها من الآن فصاعدا *StatementEnomel*، توطئة لدراسة علم اللغة، التهامي الراجي الهاشمي دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986، ص/13.

2- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/83.

3- ينظر: مقدمة لدراسة فقه اللغة، حلمي خليل، دار المعارف الجامعية، مصر، 2005، ص/30.

على أجناس الأشياء وأنواعها مثل الإنسان، والفرس والحيوان والبياض والسواد، والمفردة الدالة على الأجناس والأنواع: منها أسماء، ومنها كلم، ومنها أدوات"[1].

ويستمر "الحاج صالح "في حديثه عن علم اللّسان فهو عند كل أمة ينقسم إلى سبعة أجزاء عظمى: علم الألفاظ المفردة، علم الألفاظ المركبة، علم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة، قوانين الألفاظ عندما تركب، قوانين تصحيح الكتابة، قوانين تصحيح القراءة، قوانين تصحيح الأشعار.

وهو ما ذكره "محمد حسن إبراهيم "بقوله: لقد قدم الفارابي في كتابه إحصاء العلوم علم اللّسان على العلوم الأخرى جميعها وليس من الصعب معرفة سبب هذا؛ فالدراسات اللّسانية تحتل في الحضارة العربية مكانة كبيرة لدراسة العلوم الشرعية والتفقه في أمور الدين، وقد نظر الفارابي إلى هذا العلم أي علم اللّسان نظرة شمولية عامة.

وينبغي الإشارة إلى أنّ:

2-4-1 علم الألفاظ المفردة: يحتوي على علم تدل عليه لفظة من الألفاظ المفردة الدالة على أجناس الأشياء وأنواعها وحفظها وروايتها كلها: الخاص بذلك اللّسان والدخيل فيه والغريب منه والمشهور عند جميعهم.

2-4-2: علم الألفاظ المركبة: وهو علم الأقاويل التي تصادف مركبة عند تلك الأمة وهي التي صنفها خطباؤهم وشعراؤهم ونطق بها بلغاؤهم وفصحاؤهم المشهورين عندهم وروايتهم وحفظها طوالا كانت أم قصارا، موزونة كانت أم غير موزونة*.

1- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/83.

*** هذه الفقرة وما قبلها بسط معانيها الفارابي في كتاب الحروف بسطا رائعا حققه ونشره محسن مهدي، بيروت، 1970، ص/145-148.**

2-4-3: علم قوانين الألفاظ المفردة: وهو علم يتصل بمنهج دراسة الألفاظ في اللغات الإنسانية وهو عند "الحاج صالح" يشمل دراسة المستويين الصوتي والصرفي، أو ما يسمى في علم اللغة الحديث بعلم الأصوات (***Phonétique***) وعلم الصرف (***Morphologie***) لأن علم قوانين الألفاظ المفردة عند الفارابي يفحص أولا- كما يقول- في الحروف وعددها ومن أين خرج كل واحد منها في آلات التصويت وعن المصوت وغير المصوت، وعما تتركب منها في ذلك اللّسان وعما لا يتركب، وعن أقل ما يتركب منها حتى حدث عنها لفظة دالة، وكم أكثر ما يتركب، وعن الحروف التي لا تتبدل في بنية اللفظ عند لواحق الألفاظ من تثنية وجمع وتذكير وتأنيث، واشتقاق وغير ذلك ، وعن الحروف التي تندغم عندما تتلاقى[1].

ويقدم"الفارابي"الأمثلة على ذلك كما يفحص المصادر وأنواعها والتغيرات التي تطرأ على الألفاظ من حيث التضعيف والثلاثي والرباعي والصحيح والمعتل ويعرف كيف يكون ذلك عند التصريف.

2-4-4: علم قواني الألفاظ عندما تتركب: وهو ضربان: أحدهما يفحص حركات الإعراب أو كما يقول الفارابي: يعطي قوانين أطراف الأسماء والكلم عندما تتركب أي بعبارة أخرى يدرس ما يطرأ على الكلمات من تغير عندما تدخل في التراكيب كما تتمثل في حركات الإعراب في اللغة العربية ويبدو أن الفارابي لم يكن يتصور وجود لغات غير معربة لأنه ينظر إلى اللغة العربية وبعض اللغات الأخرى مثل اليونانية ومعظمها كان فيها ما يشبه الإعراب.

والثاني يعطي قوانين في أحوال التراكيب والترتيب نفسه كيف هي في ذلك اللسان وهو يقصد بذلك دراسة نظم الكلمات من حيث ترتيبها داخل الجملة وعلاقة كل كلمة بالأخرى نتيجة لذلك

1- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/84.

الترتيب وعلى كم ضرب يتم هذا الترتيب حتى تتألف جمل لها معنى ثم يبين أي التراكيب الأفصح في ذلك اللسان.

كما يهتم هذا العلم بدراسة طرق التعريف والتنكير والأدوات النحوية وعملها والكلم التي تتغير أطرافها والكلم التي لا تتغير أي ما يسمى عند العرب الإعراب والبناء وغير ذلك من الجوانب التي تتصل بالنحو[1].

وفي هذا الشأن يقول"الحاج صالح": "بهذا الكلام القيم يتضح لنا مفهوم علم اللّسان الذي تصوره العرب، فلاحظ بالخصوص العبارات:(في لسان كل أمة)(وفيما هو مشترك له ولغيره) فإنها تدل بوضوح على عدم اقتصار الفارابي في تقسيماته لموضوعات علم اللّسان على لسان معين، وهذه نظرة لم يسبق لنا أن رأيناها عند النحاة المتقدمين من غير العرب ولا من جاء بعدهم من النحاة الأوروبيين في القرون الوسطى حتى القرن الثالث عشر[2].

وقد تعرض "حلمي خليل" إلى هذا في كتابه "مقدمة لدراسة فقه اللغة "قائلا: "هكذا نجد أن الفارابي في شرحه لمفهوم علم اللّسان يوسع من دائرة هذا العلم بحيث يشتمل عنده على علوم خاصة بلغات معينة أو علوم أخرى خاصة بدراسة اللغة في ذاتها من حيث هي ظاهرة إنسانية عامة"[3]،كما أدخل في هذا العلم جوانب أخرى تعليمية وتطبيقية تنتمي إلى فرع مستقل الآن من فروع علم اللغة الحديث وهو علم اللغة التطبيقي.

ويتجه "الحاج صالح" في حديثه عن فقه اللغة إلى القول بأنّ فقه اللغة الذي بدأ يستعمله العلماء في القرن الخامس الهجري فهو لا يدل أبدا عندهم على ما يدل عليه علم اللسان الحديث

1–ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/86.

2–ينظر: المرجع نفسه، ص/86.

3–مقدمة لدراسة فقه اللغة، حلمي خليل، ص/38.

وإن كان آثره بعض إخواننا فأطلقه عليه، وذلك لما تبادر إلى ذهنه من المناسبة بين المدلول لكلمة فقه (العلم بالشيء والتعمق في فهمه) وبين ما هو مطلوب في الـ ***Linguistique*** إذ هو بحث عن أسرار اللّسان ،فإن العلماء العرب في القديم ما أرادوا بهذا إلا ما هو متعلق بالدّراسة المتعمقة "اللغة" فقط لا اللسان كله[1].

والبيّن من هذا القول أن فقه اللغة لفظ يطلق على أحد فروع علم اللغة أو علم متن اللغة الذي يدرس الموضوعات اللغوية وموضوعه هو البحث عن الفوارق التي تنتج عن التمييز بين الوضع والاستعمال فيما يرجع إلى المفردات.

وهذا ما وضّحه "ابن خلدون" قائلا: "لما كانت العرب تضع الشيء لمعنى على العموم ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظا أخرى خاصة بها، فرّق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتاج الناس إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ، كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض، ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالأشهر ومن الإنسان بالأزهر..."[2]، ومعنى هذا الطرح أن فقه اللغة يهتم بظاهرة الترادف والاشتراك والدخيل ونحو ذلك، كما يعتني بالبحث عن الكلمات وتنوعها اللهجي من جهة والبحث عن منشأ اللغة جهة أخرى.

ويتمثل الظهور التاريخي لفقه اللغة في تراثنا العربي في كتابين: الأول هو "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها" لابن فارس (ت 395 هـ)، والثاني هو: "فقه اللغة وأسرار العربية "لأبي منصور الثعالبي (ت 430هـ) .

وقد عرفت الدّراسات اللّغوية العربية في العصر الحديث مصطلح فقه اللغة فقد جعل "علي عبد الواحد الوافي" من المصطلحين فقه اللغة وعلم اللغة شيئا واحدا مع اختصاص فقه اللغة بالعربية

1– ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/88.

2– بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،عبد الرحمن الحاج صالح، ص/22.

وحدها "فقد درس المؤلفون من العرب بعضها تحت أسماء مختلفة أشهرها فقه اللغة، وهذه التسمية هي خير ما يوضع لهذه البحوث فإن فقه الشيء: هو كل ما يتصل بفلسفته وفهمه والوقوف على ما يسير عليه من قوانين" [1].

ومما سبق يتبين لنا أنّ الدكتور" وافي "يعد علم اللّغة وفقه اللّغة شيئا واحدا وإن كان أولهما يتصل باللّغة في عمومها والثاني يتصل بلغة معينة هي العربية. وليس الدكتور "وافي" وحده الذي يقول بالتسوية بين العلمين فثمة باحثون آخرون جروا على ذلك ومن هؤلاء الأستاذ "محمد المبارك" الذي يقول: "إن علم اللّغة بهذا المفهوم الذي بسطناه والذي آل إليه الأمر في تطور البحث اللغوي نرى أن نطلق عليه أحد الاسمين (علم اللغة) أو (فقه اللغة) وكلاهما يفيد المقصود وينطبق على المفهوم العلمي لمباحث اللغة"[2].

ونتبين من علاجه للموضوع أنه يدرس اللّغة العربية من خلال النظرات الحديثة لعلم اللّغة التي تتلاءم معها أو كما يقول: لم نأخذ من النظرات الحديثة إلا اتجاهها أو بعضها ومسائلها العامة المشتركة بين اللغات.

وقد ظهر منذ سنين رأي حديث في موضوع (فقه اللّغة) وعلاقته بـ (علم اللّغة) أعلنه الدكتور تمام حسان في كتابه "الأصول" الذي جعله دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي في النحو وفقه اللّغة والبلاغة[3].

وإنّ الدّراسات اللّغوية في العصر الحديث قد عرفت مصطلح (فقه اللّغة) ترجمة لمصطلح (***Philologie***) منذ عام 1926م، وهكذا فهمت عبارة فقه اللّغة على أنّه ترجمة لكلمة

1–فقه اللغة، عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط8، (د ت)، ص/5.

2– فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر الحديث، لبنان، 1964، ص/39.

3– ينظر: الأصول –دراسة ابستمولوجية– ، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ص/258–289.

(***Philologie***) مع ما بين العبارتين من دون شاسع في دلالة كل منهما على منحى من الدراسة اللغوية يختلف عن الآخر كل الاختلاف، وظل هذا الربط قائما إلى أن تفطن الباحثين ممن درسوا علم اللغة فأدرك حقيقة الخلاف بين عبارة فقه اللغة القديمة وكلمة (***Philologie***) ومن ثم بدأوا يكتبون الفرق بينهما.

من كل ما عرضناه تبين لنا أنّ هناك فروقا بين هذه العلوم بيّنها الأستاذ" عبد الرحمن الحاج صالح "فأزال الوهم بتوضيحه الفروق الدقيقية بين فقه اللغة وعلم اللغة وعلم اللسان قديما وحديثا.

والمتتبع لهذه الفروق الدقيقة بين هذه التخصصات اللغوية تظهر له حين يحدد الموضوعات التي تتناولها وقد كفانا علماؤنا القدامى حين عرّفوها وبيّنوا مجالات وحدود اختصاصها بكل عناية.

5/ الدّراسات اللّغوية في أوربا في القرون الوسطى:

يشير" الحاج صالح" إلى الدراسة اللّسانية في القرون الوسطى، بحيث أنه بعد السّبات العميق الذي دام قرونا في البلدان الأوربية اثر انهيار السؤدد الروماني، بعد هذا طرأت على أوروبا أحداث في القرن 16م وهي احتكاكهم بالحضارة العربية فبدأت عند ذلك حركة الترجمة فأخذوا يترجمون الكتب العربية (من كتب الفلسفة والمنطق والطب والعلوم الطبيعية والرياضية) إلى اللاتينية، وهكذا غزت الثقافة الفلسفية والعلمية العربية الكثير من أذهان الأساتذة الشبان والمتعلمين واكتشفوا باطلاعهم على تلك الكتب الفلسفة اليونانية ومذاهبها في علم اللسان وفنونه، وبالخصوص أرسطو ومنطقه وما زاد عليه الفلاسفة العرب من لطيف المفاهيم ودقيق المناهج، فكان تعليم الدّراسات النحوية والبلاغية بصفة عامة عبارة عن تقليد أعمى للمشايخ من الرومان وشرّاحهم (دوناتوس) و(برسيانوس) بالخصوص[1].

1– ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/90.

ثم نجد "الحاج صالح" يشير إلى الاتجاهات الجديدة التي يلاحظها المؤرخ عند دراسته للقرن الثالث عشر:

الأول: هي الاعتماد على النظر والاستدلال العقلي في البحوث اللغوية اعتمادا جوهريا وعدم الاكتفاء بالاطلاع المجرد من كل تحليل على ما ينقل من أحداث اللغة اللاتينية[1].

الثانية: هي إحياء البحث في النظريات اللّغوية العامة التي لا تخص لغة معينة وإلقاء بعض الأضواء على أراء القدامى التي تُستمد من الفلسفة بمعناها الذي عرفه أولئك القدماء، أي الحكمة التي يدخل فيها جميع العلوم الدقيقة والطبيعية والإنسانية، وبالأخص علم اللّسان العام والمنطق الذي كان عندهم معيارا عاما لكل العلوم التي ذكرناها[1].

الثالثة: هو البحث عن علل النحو والاعتماد على تفسير القواعد أكثر من الاعتماد على تفسير النصوص الأدبية، وهذا ناتج عن الاتجاه الأول.

وترتّب على هذه الاتجاهات بعض الاعتبارات العامة، فمنذ ذلك الحين عدّوا النحو وكل الدّراسات اللغوية الأخرى علما مستقلا بنفسه، ثم نجد "الحاج صالح" يشير إلى تلك المبادئ الهامة التي تدخل في هذه النظرية كمبدأ وحدة النحو في الألسنة البشرية، فقد ذهبوا إلى أن الآليات التصريفية التركيبية تتحد في أصولها في جميع الألسنة، وأما الصفات التي تختلف فيها فإن هي إلا فروع وعوارض، يقول أعظم ممثل للحركة العلمية عندهم وهو: "روجير بيكون" (***RogerBacon***) (1214- 1294) إنّ الغراماطيقي بحسب جوهره واحد في جميع اللغات، وإن كانت تتنوع تنوعا عرضيا[2].

1- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/91.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص/92.

ومن أشهر لغويي هذه الفترة ، فترة العصر الوسيط "***pierrreHélie***" الذي لخص القواعد اللاتينية شعرا عام 1150م، كما وضع كتابا في تعليم اللغة الفرنسية وقواعدها إلى جانب "الكسندر دوفيل ديو" ***Alexandvedeyilledieu*** (ق12م) الذي بحث في القواعد اللاتينية شعرا، والراهب الانجليزي ***Alffevic*** الملقب "بالنحوي" (955- 1025م) الذي وضع كتابا في القواعد اللاتينية لتعليم الرهبان من أبناء طائفته، ثم وضع معجما في اللاتينية والساكسونية، إضافة إلى الاسكندنافي ***Stuvlusonsnorri***(1179- 1249) الذي وضع كتابا في القواعد والإنشاء[1].

ومن ذلك أيضا ضرورة التقدير في النحو لتفسير الأبنية والتراكيب التي تعتريها بعض التّحولات في سعة الكلام ونظمه (مثل الحذف والتأخير..) وهذا سوف يؤثر أيّما تأثير في التعليم الأوروبي، وسيثير حتما الكثير من المبالغات والتّعسفات خصوصا في العصور التالية لعدم اعتماد المعلمين على الوسائل العقلية التي استعملها النحاة العرب الأولون (وهم أول من لجأ إلى التقدير) وأقاموا على أساس هذه الأفكار والمبادئ نظرية فرعية اعتمدوا عليها في تحليل اللغة، وهي النظرية المسماة بال ***ModiSignificandi*** ومعناه أحوال الدلالة اللفظية[2].

وألف ناس كثيرون في ال -***ModiSignificandi*** وسموا هذه الصنعة ***GramraticuSpeculative*** (الغراماطيقي النظري، وهذا عنوان أحد هذه المؤلفات حرره توماس الأرقوري في ابتداء القرن الرابع عشر) ولقب أصحابها بال ***Modistoe***(الأحواليون)[3].

1– ينظر: اللسانيات النظرية، خليفة بوجادي، ص/21.

2– ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/93.

3–:ينظر: المرجع نفسه، ص/ 94.

6/ الدّراسات اللّغوية في أوربا من القرن 16 إلى 19م:

استمرت الجهود اللغوية في هذه الحقبة الزمنية حيث ظهرت في القرن السادس عشر- ولأول مرة في أوروبا- دراسات في اللغات غير الأوربية وهذا ناتج كما قلنا عن كثرة الرحلات والتوسع الاستعماري والتبشيري وظهرت في نفس العصر المعاجم المتعددة اللغات[1].

ونجد "الحاج صالح" ينتقل إلى القرن السابع عشر وينوّه إلى اهتمام الأوربيين باللغات الأجنبية فقد كثرت الترجمات وألفت المعاجم، وبدأت حركة نقد النصوص في الظهور، كما أولوا اهتماما باللغات اليونانية واللاتينية وغيرها.

أما الدراسات لأصوات اللّغة فبدأت تأخذ شيئا فشيئا صبغة علمية حقيقية، وذلك بعد أن ظهرت تلك الأوصاف التعليمية للغات الأجنبية في القرن السابق[2].

وفي حديث "خليفة بوجادي" في كتابه "اللسانيات النظرية "إشارة إلى الدّراسات اللّغوية التي ظهرت في هذا العصر حيث اتضح فيه التمييز بين الصوت والحرف المكتوب، كما حصلت تطورات كثيرة في دراسة اللغة، فوضع الراهبان (***Lancelot***) و(***Arnauld***) عام 1660م (القواعد اللغوية العامة والمعللة تعليلا عقليا) وأصدر الهولندي ***MantanuPertus*** عام 1635م كتابا تضمّن وصف أجزاء الفم والأنف والحلق مع حركاتها الممكنة، ووصف عملية النطق وأوضاع اللّسان، كما أصدر ***DirportRoyal*** كتاب (القواعد)، وهو كتاب هام فيه ملاحظات ثاقبة في الصوت وقضايا اللغة إلى جانب ظهور قضية جديدة، ولها شأن كبير، وهي مسألة اللغات العالمية المصطنعة[3]

1- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح ، ص/99.

2- ينظر: المرجع نفسه ص/ 100.

3- ينظر: اللسانيات النظرية، خليفة بوجادي، ص/22.

.وفي حديث آخر "للحاج صالح" نجده يشير إلى أن النحو النظري بقوله: "الأثر الذي يمثله أحسن تمثيل فهو الحركة اللغوية المنطقية المنبثقة في الفلسفة اليونانية العربية"[1].

فعلى حد تعبير صاحب كتاب "دراسات في علم اللغة الحديث" فإنّ الجهود اللغوية في هذه الفترة الزمنية قد اهتم علماؤها بالمنطق، وكان للّغة نصيب وافر من هذا العلم الجديد فحاولوا إخضاع اللّغة إلى قواعد المنطق أو ما يسمى بفكرة منطقية اللغة، ولعل مدرسة بور رويال هي التي اشتهرت بهذه الفكرة إذ ألف (لانسلو) و(أرنو) (***C.Lancelot***) و(***A.Arnaud***) عام 1660م كتابا أطلق عليه اسم (النحو العام والعقلاني)[2]، واعتبرا أن هذه النماذج اللغوية يجب أن تتطابق مع متطلبات المنطق، وبما أن المنطق عند البشر جميعا، بقي هذا التيار المنطقي العقلاني في فرنسا حتى القرن الثامن عشر، حيث كانت اللغة المكتوبة هي مجال البحث عند اللغويين وكانت اللغة اللاتينية ونصوصها المكتوبة هي مجال الدّراسات اللّغوية آنذاك، في حين كان ينظر للغات الاسبانية والفرنسية والايطالية وكأنّها لهجات محلية[3].

كما نجد "للحاج صالح" نظرة إلى الدّراسات اللّغوية في القرن الثامن عشر، فقد امتاز علماؤه في أوروبا بسعة الاطلاع وكثرة مشاهدتهم للأحداث اللغوية والرجوع الدائم إلى الحسّ(...) مع المحافظة على ما استنه العقلانيون في تثبيت سلطان العقل.

ويمتاز هذا العصر أيضا بكثرة البحث والتأليف في اللغات البشرية وكذلك استمر البحث في النحو النظري حتى قيل عن القرن الثامن عشر أنه عصر النحو العام والنظريات اللغوية[4].

1–ينظر:بحوث و دراسات في علوم اللسان، عبد الرحمان الحاج صالح. ص/101.

2– ينظر: المرجع نفسه، ص/101.

3–ينظر: دراسات في علم اللغة الحديث، صادق يوسف الدباس، ص/164.

4– ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/ 103.

وظهرت في هذا العصر أيضا بعض المحاولات في تحقيق القرابة بين اللغات، وقد أشار "أحمد محمد قدور" في مؤلفه اللّسانيات والمصطلح أنه ظهرت في هذا القرن –القرن الثامن عشر ميلادي – بعض المحاولات تثبت صلة القرابة بين اللغات وخاصة حين اكتشفت اللغة السنسكريتية سنة 1786م واتخذت أساسا للمقارنة العلمية واكتشاف شجرة اللغات الهندية الأوروبية (...) وكان من نتيجة ذلك تصنيف اللغات في العالم وكشف صلات التشابه والقربى بين لغة وأخرى، وتحديد الفروع التي تنحدر من الأسر اللغوية تحديدا علميا موثوقا بعيدا عن التعصب أو الرجم بالغيب[1].

كما سبق وأن أشرنا لحديث "عبد الرحمن الحاج صالح"–رحمه الله– في الجزء الأول بين مؤلفه " بحوث ودراسات في علوم اللسان" ودراستنا للفصل الأول نجده قد قام بتحليل ونقد أهم مفاهيم علم اللّسان، متطرقا لتاريخ العلوم اللّسانية في العالم وما كانت عليه عند الهنود ثم اليونان ثم العرب، وما آلت إليه في أوربا خاصة ابتداءً من النهضة الأوروبية في القرن السادس عشر.

وعلى هذا الأساس نجده يلم بما جَدَّ في البحث اللساني، فعلى حد تعبيره فإن علم اللّسان تعَرّض لفهم خاطئ عند كثير من الباحثين، فهم لا يفرقون بين علم اللّغة وعلم اللّسان وفقه اللغة، واختلطت عليهم مفاهيم هذه المصطلحات، وخلص إلى أن علم اللسان هو أداة تبليغ.

أما تاريخ البحث اللّغوي فإنه بدأ مع أقدم تحليل علمي للسان البشري، فكانت نظرته إلى الدّراسات القديمة للسان موجزة، ثم البحث اللّغوي عند الهنود، ثم اليونان، ثم العصور الوسطى حتى القرن 18 بحيث كانت رؤيته في بعض العناصر عامة وشاملة متوسعا في تحليلها، وبعضها الآخر ذكرها دون تفصيل.

وكثُر التأليف في الدّرس اللّساني، وكانت بوادر الباحثين الأولى في هذا المجال مع "إبراهيم أنيس" في كُتبِه (الأصوات اللغوية، دلالة الألفاظ، في اللهجات العربية).

1– ينظر: اللسانيات والمصطلح، أحمد محمد قدور، ص/01.

بالإضافة إلى "محمود السعران" وكتابه المعنون بـ "علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي" الذي حاول من خلاله تبسيط القضايا اللّسانية ليسهل على القارئ العربي تلقي مضمونه بأسها الطرق وأدنى مجهود ويقول:"لقد حاولت تبسيط حقائق هذا العلم ما وسعني التبسيط مع حرصي على الدّقة والسّلامة، حتى يستقل القارئ المبتدئ بتحصيل ما فيه ومدارسته وينتقل منه آمنا إلى مطالعة وصول هذا العلم منقولة إلى العربية أو مكتوبة بلغاتها"[1]

أما "تمام حسان" فكانت أرائه اللّسانية منبثة في جل كتبه ونذكر على سبيل المثال مقدمة كتابه "مناهج البحث في اللغة" يقف الموقف الوسط ويحاول التوفيق بين ما هو تراثي وما هو حداثي، أي إعادة قراءة التراث اللغوي العربي وفق المناهج اللّسانية المعاصرة[2].

ويقدم "أحمد مختار عمر" و"أحمد مومن" و"عبد الصبور شاهين" من خلال مؤلفاتهم نظرة شاملة في البحث اللغوي، هذا بالنسبة للمشرق، أما في المغرب العربي فنجد "عبد السلام المسدّي" (التفكير اللساني في الحضارة العربية، مباحث تأسيسية في اللسانيات).

و"مصطفى غلفان" في "اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة"، كذلك "خليفة بوجادي"، و"أحمد المتوكل" و"الطيب بكوش" وغيرهم ممن اهتموا بالدرس اللساني وبحثوا في نشأته وأطواره ومفاهيمه.

1– علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار النهضة العربية، لبنان – بيروت، (د ط)، دت، ص/06.

2–ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر– القاهرة، 1999، ص/02–03.

الفصل الثاني

الاتجاهات اللّسانية في العصر الحديث

المبحث الأول: الدّراسات اللّسانية في مرحلة ما قبل البنيوية

المبحث الثاني: القرن العشرين عصر البنية والدراسة البنوية

توطئة:

انقضت العصور الوسطى وشهد علم اللغة اتساعا ملموسا، وبدأت تظهر تأثيرات أعمال اللّسانيين واضحة في التقاليد الأوربية ، فكانت محاولة الباحثين في المجال اللّغوي تخليص علم اللغة من الأفكار السائدة آنذاك –البحث في أصل اللّغة من حيث علاقتها بالفلسفة –ومع توالي العصور كانت سيطرة اللّغة اللاتينية ذات الحظ الوافر في الدّراسات اللّغوية رغم عراقة العديد من اللغات العالمية كالعربية والعبرية.

ومع انفتاح العالم على شتى المجالات تعرفت الإنسانية على لغات جديدة كاللّغة السنسكريتية التي أضاء نورها على العالم، فشهد بذلك العصر الحديث نهضة ثقافية كبرى تجلت أبرز معالمها في الانفتاح على مناهج البحث وتطبيقها.

وهكذا كان القرن الثامن عشر قد مهد لعلماء القرن التاسع عشر سبل المقارنة العلمية بين اللغات، فما هي الإضافات التي قدمها هذا القرن في حقل الدراسات اللغوية؟

هذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل من خلال ما قدمه لنا الدكتور "عبد الرحمان الحاج الصالح "–رحمه الله–في عصر الدّراسات المقارنة و التّاريخية.

المبحث الأول :الدّراسات اللّسانيات في مرحلة ما قبل البنيوية

لقد كان القرن التّاسع عشر قرن البحوث اللّغوية التّاريخية و المقارنة، وبخاصة البحوث التي تناولت اللغات الهندو أوربية ، وإن كان هذا لا يعني كما يقرّر (روبنز) أن البحوث التّاريخية و المقارنة لم تظهر من قبل، أو أن الجوانب الأخرى لعلم اللغة، قد أهملت في أثناء هذا القرن ، وكل ما في الأمر أن هدا القرن قد شهد تطور المفاهيم الحديثة النظرية و المنهجية لعلم اللّغة التّاريخي والمقارن وأن الاهتمام الأكبر للباحثين كان خالصا لهذا الجانب أكثر من الجوانب الأخرى[1].

ومن ثّم نجد" الحاج صالح" يستهل حديثه عن الدّراسات التّاريخية والمقارنة قائلا أن :"الألمان هم الذين وضعوا أسس الدّراسة المقارنة والتّاريخية للغات وأنهجوا سبيلها وبعجوا النحو المقارن ومدوا القياس والعلل فيه (...) كذلك اكتشافهم للقرابة الجوهرية بين لغاتهم –و خصوصا اليونانية واللاتينية– من جهة و بين السنسكريتية من جهة أخرى "[2]

ثم نجده يشير إلى أن الشعور الكامل الشامل بهذه القرابة كان مع "وليام جونز" في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الذي قال :"إنه يوجد بين اليونانية و اللاتينية و بين السنسكريتية من القرابة الوثيقة سواء في موادها اللّفظية وصيغها النحوية ما لا يمكننا أن نجعله من محض الصُدفة، و لا يسع أي عالم في اللّغة أن يتأمل هذه اللّغات الثلاث ، إلّا أن يعترف أنها قد تفرعت عن أصل واحد ربما ليس له وجود الأن ، ولسبب مماثل لهذا ، إلّا أنّه أقل قوة يُمكننا أن نفترض السلتية والقوطية (...) هما والسنسكريتية من أصل واحد أيضا، وكذلك الفارسية القديمة فقد تدخل هي أيضا في هذه الفصيلة...[3] .

1– مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، (د ط)، القاهرة، 1998، ص/276.

2– بحوث و دراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص /114.

3– ينظر: المرجع نفسه، ص /115.

والكلام السابق يبيّن لنا أنّه من ذلك الوقت تكاثرت الدّراسات للغة السنسكريتية وحاول العلماء أن يبيّنوا هذه القرابة بحسب ما كانت تسمح لهم قرائحهم في ارتجال المناهج وتقديم الحجج المقنعة، وهكذا أنشأت شيئا فشيئا طرق المقارنة العلمية بين اللغات.

وبهذا الاكتشاف يكون "وليام جونز" (***WilliamJones***) قد قدم لعالم الدراسات اللغوية أرائه عن العلاقة بين السنسكريتية والفارسية القديمة وبين اللاتينية واليونانية والجرمانية والكلتية وقد كانت هذه الدراسة بمثابة الدليل أو الرّيادة للمنهج المقارن الذي أخذ يمثل عالم الدّراسات اللّغوية، مما دعا الباحثين للعناية باللغة السنسكريتية.

وهنا نذكر قول "جورج مونان": " وكان الهدف الأساسي من القواعد المقارنة إثبات القرابة بين اللغات، وهي لا تسعى إلى تتبع تاريخها خطوة بخطوة، بل تعتمد طريقة الموازنة الحقيقية الصارمة وتنتهي من عملها أو تستنفذ طاقتها إذا أثبت أن التشابه بين أشكال لغتين لا يمكن أن يكون من قبيل الصُدفة، فليكن تثبيت صلة القربى بين لغات لا يعنيها مباشرة أن تنظر في الفترات التاريخية التي تقارب بينهما"[1].

هذا القول لا يحتاج إلى تعليق فجورج مونان كان مقنعا من خلال حديثه حول الدّراسات المقارنة.

ونرى "تمام حسان" في كتابهّ الأصول –دراسة استيمولوجية – "يشير إلى أنه قد اطلع الأوربيون على اللغة السنسكريتية من خلال مقال قدّمه "السير ويليام جونز" (1846- 1894) يبين فيه أوجه الشبه بينها وبين اللّغات الإغريقية واللاتينية والقوطية[2]، ففي اعتقاده أنّ هذه اللغات جميعها

1– تاريخ علم اللغة، جورج مونان، تر: بدر الدين القاسم، منشورات الجامعة السورية، دمشق، 1972، ص/162.

2– ينظر: الأصول –دراسة استيمولوجية – للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان، عالم الكتب، مصر، 2000، ص/235.

قد انحدرت من أصل واحد، ويقول أيضا –هي مقطع من خطابه– "إن اللغة السنسكريتية مهما كان قدمها فلها بنية رائعة، فهي أحسن من الإغريقية، وأغنى من اللاتينية وأشد تهذيبا وصقلا من كليهما"[1]كما يعتبرها اللغة الأكثر بناء لحفاظها على أشكالها اللغوية على غرار باقي اللغات.

ويشير "محمد حسن عبد العزيز" في كتابه "مدخل إلى علم اللغة" إلى اكتشاف اللّغة السنسكريتية وقد عَزُوَ هذا الاكتشاف رأي أولئك الذين يعتقدون بأن نحو اللغات متماثل في جوهره مختلف في مظهره، وتُبت الفكرة التي مؤداها أنّ تطور اللّغات كان تحريفات متعاقبة حدثت بمرور الزمن، فاللاتينية مثلا كانت تحريفا لليونانية أما السنسكريتية فقد كانت آنذاك أكثر كمالا من اليونانية[2]

بعد هذا يتوجه "الحاج صالح" في حديثه عن أهم حلقة تُذكر في مجال البحث عصرئذ هي حلقة العالم الفرنسي "سلفستر دي ساسي" (***SilvesteredeSacy***)(1758 –1838) بما امتاز هذا الباحث الجّليل القّدر عمن سبقه (وحتى عن من سيأتي بعده) بمعرفة واسعة جدا للغات الشرقية وما نشر أهلها قديما في الدّراسات اللغوية، وكان متضلعا بالخصوص في علوم العربية وكوّن فريقا من الباحثين نذكر منهم: "شيزي" (***Chézy***) في اللغة السنسكريتية والأخوين شليجل "***Vonschlegel***" والأخوين "***Grinn***" وغيرهم كثيرون، وأهم شيء اكتسبه هؤلاء من دروس دي سوسير هو اطلاعهم من خلال دراستهم العربية واللّغات السامية الأخرى على المفاهيم اللغوية النحوية التي كانت تنقصهم في ثقافتهم الفيلولوجية التقليدية وكذلك الأمر بالنسبة إلى النحو والصرف[3].

1– اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ص/66.

2– ينظر: مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، ص/277.

3– ينظر: بحوث و دراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص /116.

وقد نوه "محمد حسن عبد العزيز" إلى أنه قد نشطت البحوث التي تناولت السنسكريتية في باريس نشاطا عظيما فقد بعث " سلفستر دي ساسي" الحياة في مركز حقيقي للأبحاث تابع لمدرسة اللّغات الشرقية منذ عام 1776م، وقد وفد إلى هذا المركز جميع اللّغويين الألمان وأوجدوا القواعد المقارنة ومن هؤلاء الأخوان شليجل وهمبولت وبوب[1].

ويشير "الحاج صالح" إلى أن دي ساسي لم يرتح ولم يرض لفكرة المقارنة ومحاولة اكتشاف القرابة بين اللغات والبرهنة على تفرعها أو عدم تفرعها من أصل واحد، ففي نظره أنها أفكار لم تنضح بعد، وهي جد مرتبطة بالرومانسية وأن مناهجها لم تكن هي أيضا تتميز بالصحة والدقة، وزد على ذلك كان دي ساسي متشبعا بمبادئ النحو الوصفي التعليلي، مع تحمسه للمنهجية النحوية العربية.

يقول الأستاذ: "تعد سنة 1816م عند عامة اللّغويين الأوربيين من الجيل السابق لسنة ميلاد اللسانيات كعلم لصدور أول كتاب تحلل فيه لأول مرة في التاريخ عدة لغات من الوجهة التّاريخية وعلى أساس المقارنة العلمية لغرض علمي بحت، ويتجنب فيه فرض الحدود والمعايير (***Precription***) والتأمل الفلسفي والتحليل الأرسطو طاليسي وصاحب هذا الكتاب "فرانز بوب" (***FranzBoop***) وكتاب آخر ظهر سنة 1818م مع "راسموس راسك" (***RasmusRask***) يدرس فيه القّرابة بين اللغات الأوربية"[2].

ومن الكلام السابق يتبيّن لنا أنّ" فرانز بوب" هو المؤسس للدّرس اللّغوي العّلمي المقارن، وفي هذا الشّأن يقول :"محمد حسن عبد العزيز" في كتابه "مدخل إلى علم اللغة" أنّ بوب –عند مؤرخي علم اللغة– هو مؤسس القواعد المقارنة ، ففي عام 1814م نشرت مذكرته: في تصريف اللغة

1– ينظر: مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، ص/277.

2– ينظر: بحوث و دراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص /117 –118.

السنسكريتية ومقارنته بالأنظمة الصرفية المعروفة في اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية، ثم تابع أبحاثه المقارنة طوال نصف قرن من الزمن ومنها على سبيل المثال مذكرته في التحليل المقارن بين السنسكريتية واللغات التي نمت إليها بصلة القربى وكتابه القواعد المقارنة[1].

لقد تبيّن لنا أن العديد من الباحثين اتفقوا على نشأة القواعد المقارنة قد كانت معا لعالم الألماني بوب رغم أسبقية "وليام جونز" لهذه الفكرة، وذهب "عبد الجليل مرتاض " في مؤلفه "التحولات الجديدة للسانيات التاريخية" إلى أن بوب كان أول من أدرك أن العلاقات بين اللغات التي يجمع بينهما رحم واحد، يمكن أن تصبح مادة لعلم مستقل، لأن نسلط لغة أخرى ، وأن نشرح صيغ إحداها مقارنة بصيغ غيرها[2].

وهذا ما سبقته إليه "مليكا إفيتش" مؤكدة أن بوب هو المؤسس للنحو المقارن كما أنّ عام 1816هو العام الذي أهدى فيه بوب إلى جمهور اللّسانيين مادة لغوية من السنسكريتية مقارنة ببعض اللغات الهندية الأوربية الأخرى، ويظل تاريخا مذكورا في علم اللسانيات إذ لم يكن هذا العام بداية عهد المقارنات في الدراسات اللغوية فحسب بل كان بداية اللسانيات ذاتها بوصفها مجالا معرفيا يتسم بالنظامية والاستقلال[3].

ثم ينتقل الأستاذ في دراسته إلى الحديث عن المراحل التّي مرّت بها الدّراسات اللّغوية المقارنة وحدّدها في ثلاثة تيارات:

- المقارنة من أجل بيّان القرابة بين اللغات الهندية الأوربية.

1- ينظر: مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، ص/283.

2- ينظر: التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، عبد الجليل مرتاض، دار الهومة، الجزائر، (د ط) ، 2008، ص/70.

3- اتجاهات البحث اللساني، مليكا إفيتش، تر: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2008، ص/49.

- التشبيه بين اللغات والكائنات الحية.
- التتبع التاريخي الدقيق والاهتمام بتقنين التطور وتعليله.

فأمّا التيّار الأول فيرى "الحاج صالح" أنّه انطلق من رغبة الأوربيين الشديدة في العثور على مبدأ لغتهم الأصلية ومنشأها، وخصوصا الجرمانية منها، وشاعت عند ذلك كلمة (***Ursprache***) أي اللغة الأم الأصلية.

ولبثَ هؤلاء إلى المنهج التّاريخي الذي كان أساسه المقارنة بين لغة في زمان معين ونفس اللغة في زمان معين ،ونفس اللغة في زمان سالف بالنظر في جميع عناصرها كيف تحولت إلى ما هي عليه في الزمان المذكور[1]، وعلى هذا فإن المقارنة اكتسبت البعد الذي كان ينقصها، وهو النضج لتطور العناصر اللغوية.

يمكن لأسرار التطور اللغوي في لغة معينة أن تتجلى وتتضح إذا عرفت حلقات التطور للغة المدروسة، فدراسة اللغة في ظل المنهج تتميز بتتبع الظاهرة اللّغوية عبر العصور المختلفة والأماكن المتعددة للوقوف على ما أصابها من تطور ومعرفة أسرار هذا التطور وقوانينه المختلفة.

وفي هذا ترى "نور الهدى لوشن" أن المنهج التّاريخي يهتم بتتبع الظاهرة اللغوية ودراستها عبر الزمن[2] مثل تطور اللغة اللاتينية إلى اللغات الرومانية أو تطور اللغة العربية الفصحى إلى اللهجات العامية المختلفة وهكذا...

1– ينظر: بحوث و دراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/120.

2– ينظر: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، ص/287.

في حين يرى "التواتي بن التواتي" أن نشأة هذا المنهج ترتبط بالطريقة العلمية التي لم تعد تستهدف إثبات القرابة بين اللغات بل يجب أن يكون هدفها معرفة التطورات اللفظية في لغة ما خلال مجمل تاريخها.

أما التيار الثاني فيتعرّض "الحاج صالح "له من خلال ما اقتنع به العلماء اللغويون بأنّ اللّغة هي أيضا جهاز عضوي مثل الأحياء؛ لأنّها تتكون من عناصر لها وظيفة، وهي تنشأ وتترعرع وتكتمل ثم تشيخ وتموت مثل الأحياء، وأكثرهم كانوا يعتقدون ذلك حتى بوب نفسه وكذلك شليجل فهو أول من دعا إلى "تشريح" اللغات كما تشرح أجسام الأحياء[1].

وقد نوّه" محمد حسن عبد العزيز" في مؤلفه إلى أن المؤرخون ينسبون إلى شليجل أنه صاحب مصطلح القواعد المقارنة حين دلل على ضرورة خلق القواعد المقارنة بالوسائل التي يستخدمها علم التشريح في التوصل إلى الحلقات الأولى من الكائنات في التاريخ الطبيعي[2].

ثم يعود الأستاذ إلى تنبيهنا بأن هذه الفكرة لم تبرز بروزا كاملا ولم تسد جميع مظاهر البحث إلّا بعد ظهور" نظرية داروين"، فمع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر تبيّن الباحثون أهمية البحث في اللهجات الحية في إطار مناهج البحث نحو العلمية والدقة.

فقد تأثرت العلوم اللّغوية بمبادئ نظرية "داروين" في النشوء والارتقاء من خلال الكتاب الذي ألفه داروين تحت "أصل الأنواع"، ونمثل هذا الأثر في أعمال أوغست شلايشر الذي رأى أن اللّغة عبارة عن جهاز عضوي قابل للتطور حتى يصل إلى القمة وهنا تأتي مرحلة الانحدار والموت مثل الكائن الحي تماما، فاللغة بهذا المفهوم جهاز عضوي طبيعي. وهذا الطرح متأثر بدراسته لعلم الإحياء.

1– ينظر: بحوث و دراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/121.

2– ينظر: مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، ص/279.

وعلى هذا يستنتج "محمد حسن عبد العزيز "أن " شلايشر" كان يعتبر اللّغة جهاز عضوي ينبغي أن تدرس وفقا لمناهج العلوم الطبيعية[1]. واللّغة بهذا الاعتبار – أنها جهاز عضوي – قابلة للتطور تنمو وتتطور ثم تنحل وتموت كأي كائن عضوي حي، وهكذا تتلاقى نظرية شلايشر اللغوية التي أعلنها في كتابه " مذهب داروين وعلم اللغة" بنظرية داروين.

ويلخص "جورج مونان" في مؤلفه " تاريخ علم اللغة" فكرة شلايشر قائلا: "اللّغة جهاز عضوي أي أنّها ليست ظاهرة اجتماعية، بل هي حادث من حوادث الطبيعة أو جهاز عضوي طبيعي، ومن ثم لا يكون علم اللّسان علما إنسانيا إنّما هو علم طبيعي"[2].

يضيف "الحاج صالح": كان شلايشر يعتقد كسائر لغويي عصره "أنّ نظام اللغات قد تطور في غابر الأزمان من الأسوأ إلى الأحسن، ولا نعرف عن ذلك شيئا فيما يخص اللغات الهندية الأوربية، لأننا كلما رجعنا إلى أقدم عهد نجد فيه أثرا يمكن تأويله، وجدنا هذه اللغات قد بلغت أقصى درجات الانتظام والإحكام والدليل على ذلك التصاريف فيها، ثم بعد ذلك تبدأ في الانحلال، فتتحول شيئا فشيئا من الأحسن إلى الأسوأ بفقدان نظامها الإعرابي بالخصوص"[3].

ومعنى هذا الكلام أن اللغة – حسب شلايشر– تمر لزوما بثلاث مراحل تطورية من صفة الانفصال إلى صفة الامتزاج إلى صفة التصرف، ونتوقف هنا قليلا لتوضيح المصطلحات:

– مرحلة الانفصال: يقصد بها المرحلة الأولى التي تكون فيها كلمة اللغة مؤلفة من جذر جامد كما في حال اللغة الصينية.

1– ينظر: مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، ص/289.

2– تاريخ علم اللغة، جورج مونان، ص/202.

3– بحوث و دراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/122.

- مرحلة الامتزاج: ويقصد بها المرحلة الوسطى التي تحتوي كلمات اللغة فيها على الجذر واللواحق كما في حال اللغة التركية.

- مرحلة التصرف (الاشتقاق): وهي التي تكون كل كلمة واحدة متضمنة عددا من المعاني ويتعذّر فصل الجذر المفرد عن الجمع مثلا: وُرُود، وَرْدة وتسمى هذه اللغات باللغات التصريفية.

إنّ نظرية شجرة النسب التي وضعها شلايشر بنيت على أساس وجود علاقات بين لغات الأسرة اللغوية الواحدة التي تملك خصائص مشتركة تربطها بأصلها القديم، وبالطبع لم تسلم هذه النظرية من النقد الشديد[1]،وربما اللاذع أحيانا لما عليها من مآخذ إلا أنها تعد في الوقت نفسه نقطة انطلاق لتحول علم اللغة إلى علم دقيق تحكمه قوانين واضحة.

ويعرض لنا " روبنز" في "موجز تاريخ علم اللغة عند الغرب" أنّ هناك اعتراضان رئيسيان[2] وُجِهَا إلى نظرية شجرة النسب التي طرحها " شلايشر" وهما:

الأول: التمثيل الحرفي لنموذج الشجرة على أنه يماثل الانقسامات اللهجية رغم عدم توفر معلومات كافية ودقيقة عن الواقع اللهجي للغات التي ماتت.

الثاني: بطلان الانقسامات الأحادية التي أقرتها النظرية وانتقدها "ج- شميت ***J- Schmidt*** " ثم طورها في نظريته المسماة بنظرية الموجة، والتي رفض فيها انقسام اللغة إلى لهجتين فحسب، وذهب إلى أنها تتفرع إلى لهجات متداخلة الحدود، حيث يبدأ التطور من المركز إلى الحدود الفاصلة بين اللهجات فيما يشبه اللهجة.

1- ينظر: اللغة والتطور، عبد الرحمن أيوب، معهد الدراسات العربية، (دط)، 1969، ص/42-43.

2- ينظر: موجز تاريخ علم اللغة، روبنز، ص/292-293.

وهذا ما أكده الأستاذ "الحاج صالح" بأن نظرية شلايشر نظرة خاطئة لسوء فهمه لمعنى التطور وسينتقدها أصحاب التيار الثالث وكل اللغويين الأوربيين في أيامنا هذه وهم في ذلك على صواب لأن العلم الحقيقي لا يحكم على الظواهر – كعلم موضوعي– بأنها حسنة أو سيئة (هذه معيارية) ولا يعتبر التطور إلا تحولا فقط مهما كان، ولكنه يُمكِنه مع ذلك أن يبني بوصفه وتحليله لوجود هذه الظواهر أنها أصبحت كنظم تؤدي وظيفتها أحسن من ذي قبل أو لا تؤديه، بل تؤديه بأسوأ كيفية[1].

أما التيار الثالث فيراه "الحاج صالح" أساس التحليل التّاريخي ومنهج الاستقراء لتطور عناصر اللّغة في البحث اللغوي، ولا يهتم كثيرا بالجوانب النظرية الصرفة – بالأحرى الفلسفية– فهو مذهب علمي عملي يبني كل أحكامه على المشاهدة للمجرى التحولي، ويستنبط من هذه المشاهدة القوانين الكلية والجزئية.

وباحتدام الجدل بين مؤيد ومعارض لمجموعة من أفكار شلايشر في نظريته ظهر اتجاه جديد في الربع الأخير من القرن التاسع عشر أسفر عن قيام مدرسة النحاة الشبان*، وهم مجموعة من اللغويين كان لهم اهتمام ببعض الموضوعات المقارنة، ومن أبرزهم "بروكلمان"، ولكنهم ما لبثوا أن اختلفوا مع أستاذهم (جورج كورتيوس) وأصدروا مجلة لغوية تعبر عن مواقفهم المعارضة لكثير من أفكار معاصريهم[2].

1– بحوث و دراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/122.

*** هم مجموعة من الباحثين الألمان يعرفون باسم النحاة الشبان، وصاروا يعرفون أيضا باسم النحاة المحدثين (*Neogrammarians*) أو مدرسة ليبزيغ (*Leipzigschool*) ومن أقطاب هذه الحركة (بروغلمان، أوشوف، لسكين، دلبروكن بروكلمان، نولدكه...)، كما تأسست نظريتهم على العلوم الفيزيائية غير الحية مثل: الجيولوجيا والطبيعة كنماذج علمية دقيقة بعكس شلايشر الذي اعتمد على البيولوجيا في تأسيس نظريته.**

2– ينظر: بحوث و دراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/124.

إنّ أهم الأفكار التي طرحها النحاة الجدد هي الوجود الحقيقي للغة في الفرد نفسه ومن ثم تعزى إليه جميع التغيرات الصوتية والدلالية؛ لأنها تنشأ في وجود الفرد/ الجماعة، والتغيرات بأنواعها ما هي إلّا تغيرات في عادات الأفراد الكلامية.

وبغض النظر عن أفكارهم التي أثارها هؤلاء الشبان فقد كان تأثيرهم في مسيرة علم اللّغة بالغا، ويلاحظ "جورج مونان" –في تاريخ علم اللغة– أن علم اللغة في صورته التي تبلورت قبل بداية الربع الأخير من القرن التاسع عشر كان يحمل كثيرا من التناقضات ويمثل على ذلك بالمقارنات التي تعتمد على البراهين، وبالأهمية الكبرى التي منحت للغة السنسكريتية، وبالأفكار المتسرعة التي أعلنها (شلايشر) في التطور اللغوي. هذه كلها دفعت هؤلاء الباحثين على إنشاء علم لغوي جديد أكثر دقة وعلمية[1].

والخلاصة حسب تعبير الدكتور" فهمي حجازي" إنّ مدرسة النحويين الشبان أفادت من التقدم المنهجي في العلوم الطبيعية، وحاولت استخراج القوانين المفسرة للتغير اللغوي، وعرفت بالتزامها الصارم لفكرة القوانين الصوتية، وأفادت مدرسة النحويين الشبان في مجال اللغات الشرقية أيضا من الكشوف الأثرية الكثيرة التي نمت في القرن التاسع عشر وأماطت اللثام عن لغات قديمة بائدة[2].

كما نجد "الحاج صالح" قد أورد قولا "لبروجمان" يقول فيه: "لقد كانت الغاية الأساسية لعلم اللسان المقارن إلى حد الآن إعادة بناء اللغة الهندية الأوربية الأم، (...) وفي داخل إطار التطور اللغوي لكل من السنسكريتية والإيرانية واليونانية وغيرها، فإن الشيء الوحيد الذي كان يثير الاهتمام أو يكاد هي الفترات القدمى من هذا التطور وأقربها ما تكون إلى اللغة الأصلية، ولهذا فإنّ الفترات الحديثة لهذا التطور كانت مهملة يحتقرها الباحثون ظنا منهم أنها فترات قد أصابها الضنى والانحطاط

1– ينظر: تاريخ علم اللغة، جورج مونان، تر: بدر الدين القاسم، ص/211–212.

2– ينظر: علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، ص/129.

والهدم، فالصورة العامة للتحول الزماني الذي يصيب الصيغ اللغوية يجب أن نُكوِنها لا على أساس ما نفترضه من الرموز للغة الأصلية، ولا حتى على أساس أقدم ما وصلنا من السنسكريتية أو اليونانية أو غيرها بل على أساس التطورات اللغوية التي يمكننا أن نتتبع سوابقها، بفضل الوثائق على مدى من الزمان أطول وأن نعرف مبدأها بكيفية مباشرة[1].

فبهذا الكلام يتبيّن لنا أن النّحاة هم أول من نفضوا الأوهام التي سادت في أوساط اللغويين في الثلثين الأولين من القرن التاسع عشر، وأهمها الاعتقاد بأنّ اللغات القديمة أشرف من الحديثة بحسب توفرها على أكبر عدد من الأحوال التصريفية والعلامات الإعرابية، وأن التطور اللغوي هو في الواقع تحسن وارتقاء ثم تدهور وانحطاط.

ويرى "مونان" في تاريخه أن بروكلمان قد قاوم النظرية الشائعة التي تعتبر الهندية الأوربية بداية مطلقة يتعذر مسها ولا تخضع لقوانين اللغة، ورأى أنها لا تعدوا أن تكون فترة من فترات التطور ونبّه اللغويين إلى أن انصرافهم إلى البحث عن اللغة الأصلية قد جعلهم يغفلون عن التطورات اللغوية الحديثة التي نظروا إليها نظرة ازدراء وكأنها فترات من التحلل والانحطاط.

ثم يقرر أنه لكي تكون نظرية عامة في التطور اللغوي ينبغي أن تدرس الأشكال اللغوية على أساس تطورات لغوية يمكن أن نتتبع مقدماتها اعتمادا على وثائق تمتد على فترة أطول من الزمن، وتكون بدايتها معروفة لنا معرفة مباشرة[2].

ومن ثم لاحظ "الحاج صالح" أن أكبر فضل لاحظه العلماء في النحاة المحدثين هو أنهم بتحرجهم العلمي وتشددهم في تطبيق مبادئ علم اللّسان التاريخي قد زادوا المناهج المتبعة إلى ذلك

1- بحوث و دراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/125، وينظر: تاريخ علم اللغة، جورج مونان، ص/209-210.

2- ينظر: تاريخ علم اللغة، جورج مونان، تر: بدر الدين قاسم، ص/216-217.

الوقت ضبطا عجيبا ودقة لم يشاهد مثلها من قبل هذا وبذلك حصّنوا اللسانيات وأبعدوها عن الأباطيل التي يُروجها بعض الذين يأخذون من كل علم بطرق في مسائل تأصيل الكلمات والعناصر اللغوية الأخرى[1].

يمكن القول أنّ الدراسات التي قامت في هذا الإطار الجديد شكلت بداية علم اللغة التاريخي الذي يعنى بدراسة تطور اللغة الواحدة في مراحلها المختلفة عبر القرون، معتمدا على النصوص المدونة فهو منهج يستعيد ماضي اللغة ويهتم بتاريخها عن طريق النصوص القديمة، ويطلق عليه مصطلح دياكروني (***Diachroni***) مكون من (***Dia***) بمعنى (عبر) و(***Chronic***) بمعنى (زمن).

ويستمر "الحاج صالح "في حديثه عن البحث اللغوي واستمرار هذا البحث على نفس التحرج والتحفظ في إجراء التحليل واستخلاص النتائج، وذلك مثل الفيلولوجية القديمة، فقد تحولت إلى بحث منتظم في النصوص العتيقة وتصحيحها بالمقارنة العلمية ودراسة لغتها من حيث الألفاظ والمعاني.

وكانت دراسة السنسكريتية وعلاقتها باللغات الهندية الأوربية تعتمد على النصوص المكتوبة ومن هنا عني الفيلولوجيون بتحقيق هذه النصوص وشرحها والمقارنة بينها، حتى أصبحت هذه الدراسات الشارحة والناقدة للنصوص القديمة تعرف باسم الفيلولوجيا المقارنة[2] (***Comparativephilology***).

1- ينظر: بحوث و دراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/128.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص/129.

وبهذا المعنى يرى الدكتور "تمام حسان" في كتابه الأصول أن لفظ الفيلولوجيا يعني دراسة النصوص القديمة من حيث القاعدة ومعاني المفردات وما يتصل بذلك من شروح ونقد وإشارات تاريخية وجغرافية...الخ وكان عنصر (القدم) من أهم العناصر التي يتكون منها معنى الفيلولوجيا[1].

هكذا يمكن أن يقال أنّ الفيلولوجيا كانت تعني أمرين:

1/ الدراسة المقارنة للغات

2/ تحقيق النصوص وشرحها.

كما أورد "محمد حسن عبد العزيز" قولاً لروبنز يقول فيه: "ربما جاز لنا أن نعد اصطلاح (***philology***) بهذا الاستعمال مناسبا بما يربط بين علم اللغة باعتباره علما، وبين الدّراسات الجمالية والإنسانية للأدب وللميدان الذي يعتمد فيه مؤرخ مظاهر الحضارة المختلفة على نتائج عالم اللغة في فهم النصوص والنقوش وفي وضع أسس معتمدة من المخطوطات والوثائق والمواد لتكون دعامة لدراسته"[2].

في حين يبني "ماريو باي" أن موضوع الفيلولوجيا لا يختص بدراسة اللغات فقط، ولكن يجمع إلى ذلك دراسات تشمل الثقافة والتاريخ والتقاليد والنتاج الأدبي للغات موضوع الدراسة، بيد أن علم اللغة يركز على اللغة نفسها[3].

1– الأصول –دراسة استمولوجية– تمام حسان، ص/252.

2– مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، ص/172.

3– Robins, General Linguisstics، نقلا عن مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، ص/172.

بعد هذا نجد "الحاج صالح "في دراسته يشير إلى تزايد اهتمام الباحثين اللغويين "التاريخيين" بالمظهر الصوتي للغات فوصفوا هؤلاء الصوتيات التجريبية والذي ساعد على إنشاء هذه الصوتيات هو أمران: الأول: التفات اللغويين إلى ما ترجم من كتب الهنود في تحليل الأصوات اللغوية واكتشافهم فيها المفاهيم الكثيرة التي لم يكن لها عهد بها، وكذلك ما نقل من كتب النحو والتجويد العربية. والثاني: اهتمام بعض الفيلولوجيين بالمخارج وكيفية حدوث الحروف.

كما تعرض الأستاذ في كلامه إلى عالمين كان لهما أثر عميق في تطور الفكر اللّغوي الأوربي والأمريكي، أما الأول: فهو المفكر الألماني "فلهام فون هومبولت" (***H.VonHumboldt***) (1767- 1835). ويعلل "الحاج صالح" سبب ذكره هذا المفكر في نهاية هذا الفصل، ذلك أن أفكاره ونظرياته لم تكن من القرن التاسع عشر بل كانت معزولة غير منسجمة بأفكار معاصريه ومن جاء بعدهم حتى القرن العشرين.

يقول :عن هذا الرجل أنّه كان من مخضرمي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ولذلك جمع بين النزعات المختلفة ووفق بينها إلى حد بعيد، تتراءى في أفكاره مذاهب الفلاسفة الذين اهتموا بماهية الكلام واللغة بالنسبة للفكر والثقافة وأصل الإنسان ومآله بصفة عامة[1].

وفي هذا المقام نجد "محمد حسن عبد العزيز" يرى أنّه أعمق من المفكرين الذين تناولوا القضايا اللغوية العامة في القرن التاسع عشر، وهو من اللغويين الأوائل القلائل الذين لم يركزوا كل عملهم في مجال البحث اللغوي التاريخي، بل إن بحوثه كانت تهدف إلى وضع علم إنساني مقارن ،ومن هنا

1- ينظر: بحوث و دراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/132.

كانت عنايته البالغة بالقضايا العامة مثل: طبيعة الفكر الإنساني ونشأته وتقدمه، أصل الديانات والملاحم القديمة باعتبارها شواهد ثابتة تكشف لنا عن تفكير الأولين ومعتقداتهم[1].

بعد هذا ينتقل "الحاج صالح" إلى أفكار همبولت التي أصبحت الآن مصدرا ومرجعا للسانيات الحديثة فقد كانت نظرته إلى اللغة على أنها أداة اقتصاد فتبنى نظرية لغوية قائمة على أساس أن اللّغة ملكة خلاقة وهي انعكاس للعقلية الإنسانية، حيث يقول "عبد الجليل مرتاض" في "التحولات الجديدة للسانيات التاريخية": "أن همبولت يعتبر اللغة تعبير عن الشكل الذي بموجبه يرى الفرد العالم ثم يحمله إلى داخل نفسه"[2].

فاللّغة في تصور همبولت تحمل الجانب الاجتماعي، وهي صورة منعكسة لعادات الفكر الجارية للشعب الذي يتكلمها، وبهذا يعتبر مذهب همبولت في اللسانيات (نظرية رؤية العالم) أعظم مذهب لساني شهده القرن التاسع عشر.

إنّ ما يميز "همبولت" عن الباحثين الآخرين أنه توصل إلى إثبات شكلين مختلفين ومتكاملين للغة شكل خارجي آلي يتمثل في الكلام وشكل داخلي عضوي يتمثل في العقلية التحتية ، وبهذا نجد همبولت لم يهتم بالجانب التاريخي للغة فقط ، بل اهتم بالمظهر الآني التزامني الوصفي للغات ، فاللغة عنده نتاج متميز لروح أمة بعينها وأنّ التعبير الخارجي عن البنية الداخلية للغة يزيح الستار عن رؤية العالم[3].

هذا ما أكده "روبنز" في "موجز تاريخ علم اللغة "، حين أشار إلى أن همبولت من القلائل الذين لم يركزوا بشكل كبير على التاريخ ، ولم يميز بشكل حاد في الواقع بين جانبين لعلم اللغة :

1– مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، ص/286.

2– التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، عبد الجليل مرتاض، ص/109.

3–الجهود اللسانية مازن الوعر ، عامر بن شتوح ، مذكرة ماجستير ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2013–2014م ، ص/12.

الجانب التزامني والجانب التعاقبي واعتمد على معرفته هو وعلى ما قرأه عند بوب وعند آخرين في البحث عن إجابات المسائل التي أثارها ذات الطبيعة اللغوية العامة أساسا[1].

أما الباحث الثاني الذي ذكره "الحاج صالح "في نهاية الفصل فهو اللغوي الأمريكي "وليام د، ويتني "(***William.D.Whitney***) (1827-1894) والذي نجده يورد له بعض الآراء التي تنحصر في إسهامه في البحث اللساني وأصالته كفكرة التواطؤ الاجتماعي في تفسير كيان اللغة ، أي أنّ دراسة اللغة ليست فرعا من الطبيعيات ، ولكن علم من علوم الإنسان له موضوعه الخاص والمناهج التي تناسبه.

ومن ثم فالأدلة اللغوية أي الرموز التي تتكون منها اللغة هي علامات يتفق عليها الناطقون بها، وهذا الذي يميز عنده الإنسان من الحيوان.

ويؤكد من جهة ثانية أنّ اللّغة نظام (***système***) من الأصوات ذو مضمون معقول ، وهي تشبه بذلك –أي كونها نظام – الأجسام المنتظمة الأجزاء ذوات البنية (***structure***)المعينة [2].

هكذا يكون "ويتني" أول من حدد مضمون علم اللّسان بحصره هذا المضمون في المظهر اللغوي المحض وهو الوضعية والبنية والصورة.

خلاصة لما سبق تبيّن لنا ومن خلال ما قدمه العلامة الجزائري "عبد الرحمان الحاج صالح "- رحمه الله- عن القرن التاسع عشر : عصر الدراسات المقارنة والتاريخية ، وما قدمه "جورج مونان" (تاريخ اللغة) ، و"محمد حسن عبد العزيز" (مدخل إلى علم اللغة) أن القرن التاسع عشر :

1- ينظر : موجز تاريخ علم اللغة في الغرب ، روبنز ، تر: أحمد عوض ، عالم المعرفة ، (د ط)، الكويت ، 1997 ، ص/152.

2- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص138.

– شهد كثيرا من المجهودات الخالصة المبدعة التي نتجت عنها نتائج لغوية هامة مثل : تقسيم اللغات إلى عائلات، والقوانين الصوتية .

– لقد نبهت أفكار شلايشر في أن اللغة جهاز عضوي من نظرية داروين ، وكان النحويون الشبان حرصين أشد الحرص على أن يوصلوا الدّراسة اللّغوية بالعلوم الطبيعية ، ويجعلوا للتغير اللغوي قوانين ثابتة ثبات القوانين الطبيعية.

– إخضاع الدراسة اللغوية لمنهج البحث العلمي وتوجيهها إلى نفس الأغراض التي ترمي إليها العلوم ، وجعل غايتها الأساسية الوصول إلى كشف القوانين التي تخضع لها الظواهر اللغوية وتخليصها من الظواهر الفلسفية أو الميتافزيقية ولذلك انصرف الباحثون عن مناقشة موضوع "نشأة اللغة"

هكذا نجد هؤلاء قد أبرزوا لنا أهم المنعطفات التي شهدها القرن التاسع عشر وهي موضحة في الشكل التالي:

أهم ما يميز القرن التاسع عشر

ظهورعلم اللغة الحديث على نحو تاريخي مقارن.	التطورات العامة التي أثرت في لغوي ذلك العصر– نظرية داروين–	فضل الألمان في دراسات التاريخ اللغوي والمقارنة اللغوية والتغيير اللغوي	المسائل اللغوية العامة فلهام فون همبولت (اختلاف الكلام الانساني)

فرانز بوب الفونولوجيا التاريخية	جاكوب جريم النحو المقارن	أوغست فريديريك بوت النحو الهندو أوربي المقارن	راسك– شلايشر ماكس مولكر

وبهذا نكون قد حددنا أهم سمتين تميّز بهما البحث في القرن 19م:

1) الوعي التاريخي: اهتم اللغويون بالعلاقة التاريخية بين اللغات وظواهرها وأنظمتها وأدى هذا إلى توضيح طبيعة اللغة وحياتها.

2) البحث عن القوانين: حاول الباحثون وضع هذه النتائج في صورة قوانين دقيقة وكان من نتائج ذلك ظهور فكرة القوانين الصوتية.

المبحث الثاني: القرن العشرين: عصر البنية والدراسة البنيوية.

إذا كانت الدراسات اللغوية في القرن التاسع عشر قد ابتعدت عن التأثيرات الفلسفية وسلكت مسلك علوم الأحياء حينا، والعلوم الطبيعية والجيولوجيا حينا آخر، فإنها قد اعتمدت في القرن العشرين نزعة استقلالية ترى اللغة فيها من خلال النص.

كما شهد الدّرس اللّغوي في النصف الأول من هذا القرن منحى آخر، يختلف عما جاء به العلماء السابقون من حيث الرؤية والمنهج، وكذا النضج الفكري والعقلي، فالدّراسات التآريخية والمقارنة تعتبر الأرضية الحقيقية التي هي من أهم المؤثرات الإيجابية التي كان لها الأثر الكبير في توجيه الفكر الدي سوسيري.

وتعد مذكرات "دي سوسير" التي لم تنشر إلا بعد وفاته –على يد طلابه– نقطة تحول رئيسية من علم اللغة التاريخي إلى علم اللغة الوصفي أو التزامني أو مرحلة ما يسمى بالفكر البنيوي.

وهكذا نجد "الحاج صالح" قد انتقل في دراسته من عصر الدراسات المقارنة والتاريخية إلى عصر البنية والدراسة البنيوية[1]، مشيرا إلى اتجاهات جديدة في التحليل العلمي للظواهر الاجتماعية، فكان

1 – بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمان الحاج صالح، ص/139.

العالم الاجتماعي الفرنسي "إميل دوركايم" (***E.Durkheim***) (1858- 1917م) أكبر ممثل في هذا الاتجاه [1].

يقول "الحاج صالح" عن هذا الرجل:" قد وضع وجرّد على إثر كونت وماركس مفهوم التصورات الجماعية، ولفت نظر اللغويين إلى أهمية العامل الاجتماعي"[2].

وفسر "دوركايم" مفهوم التصور الجماعي بأنّه شيء زائد على جموع الأفراد بل شيء خارج عن صفات الفرد ومكتسباته الخاصة به، فهو إذن كل صفة غير فيزيولوجية ولا عضوية يشترك فيها جميع الأشخاص بسبب اجتماعهم وتعايشهم وكل ما يصدر عنه في داخل الجماعة ومن أجلها (كمجموع اعتقاداته وتصوراته وعواطفه ومنشآته وغير ذلك مما له علاقة بالجماعة التي يندرج فيها) فجوهره ليس طابعا من جنس الصفات الجسدية أو النفسانية التي تميزه عن الأفراد الآخرين.

وفي هذا كان "أنطوان ميي" (***AntoineMeillet***) (1866- 1936م) أول من اعتمد اعتمادا كليا على دوركايم في تفسير تطور اللغة، يقول: " إن اللغة حدث اجتماعي بالدرجة الأولى"

وبالفعل يؤكد "الحاج صالح" تناسب هذا التحديد مع التحديد الذي اقترحه "دوركيم" معللا ذلك فللغة وجود مستقل عن وجود كل واحد من الأشخاص الذين ينطقون بها رغم أنه ليس لها أي وجود في خارج المجموعة التي يتكون منها هؤلاء الأشخاص فإنّها مع ذلك وبسبب شموليتها خارجة عن كل واحد منهم .يقول والدليل على ذلك هو أنّه ليس في وسع أي واحد منهم أن يغيّرها وأن كل تغير فردي للاستعمال يحدث ردّ فعل، وأغلب ما يكون الجزاء في هذا الرد السخرية التي يتعرض لها

1- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص146.

2- المرجع نفسه، ص146.

كل إنسان لا يكون كلامه مثل كلام الناس، فالصفتان اللتان حدد بهما "دوركيم" الحدث الاجتماعي أي وجوده خارج الفرد و قسريته، هما ظاهران في اللغة ظهورا بيِّنا[1].

كما وضع "دوركيم" في كتابه "قواعد المنهج في علم الاجتماع "خصائصًا للظاهرة الاجتماعية معتبرًا إياها كل ضرب من السلوك ثابتا كان أم غير ثابت يمكن أن يباشر نوعا من القهر الخارجي على الأفراد، أو هي كل سلوك يعم المجتمع بأسره وكان ذا وجود خاص مستقل عن الصور التي يتشكل بها في الحالات الفردية[2].

بعد هذا ينتقل "الحاج صالح" في حديثه إلى أنّ "أنطوان ميي" كان دائما يصرح لزملائه وتلاميذه بأنّ اللسانيات(ويعني بذلك اللسانيات التطورية)محتاجة أشد الحاجة إلى أن يُعاد النظر في المفاهيم النحوية الوصفية التقليدية لتستبدل بمفاهيم نحوية أكثر منها دقة وموضوعية وأقرب إلى روح العلم الحديث.

وكان يسمي هذا الذي يعتبره قِسمًا إضافيًا وتكميليًا فقط لعلم اللّسان باللّسانيات العامة (***Linguistiquegénérale***) ويتمنى أن تكون بذلك شبه مقدمة عامة للدراسات اللغوية التاريخية، وهكذا أخطأ "ميي" الغرض ولم يكتب له أن يضع تلك النظرية المنشودة لأنه لم يتفطن إلى أهميتها وإلى أنها أخطر بكثير من النظرية التاريخية وكُتِب ذلك على "فرديناند دي سوسير" (***Ferdinanddesaussure***) (1857- 1913م) كما سنراه فيما يلي[3]:

إنّ أول من وضّح وحدّد ونظم الأفكار الجديدة بالنسبة إلى اللّسانيات التاريخية هو "فردينان دي سوسير" اللغوي السويسري الذي فهم اللسانيات فهما دقيقا وحقيقيا، فهو أول من أظهر للناس

1- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص148.

2- ينظر: قواعد المنهج في علم الاجتماع، دوركايم اميل، تر: محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية، 1961، ص/67- 68.

3- ينظر: بحوث و دراسات في علوم اللسان ،عبد الرحمان الحاج صالح،ص/150.

أهمية الدّراسة البنيوية بوصفه وتحليله لمفاهيمها ومناهجها واحتجاجه المقنع لصحتها وعظيم فائدتها[1].

قبل أن نشرع في عرض أفكار دي سوسير لا بد لنا من أن نحدد مصطلح البنيوية:

لقد تعددت تعاريف هذا المصطلح وهذا دليل على أنه يصعب تحديد تعريفا شاملا وموحدا يقول "أحمد مومن": "فالبنيوية تعني أنّ لكل لغة بنية وبهذا المعنى فإن كل اللسانيين البنيويين يدرسون بنية اللغة ويبحثون عن الانتظام والاطراد والقوانين التي تحكمها"[2]. فكل مهتم ببنية اللغة يعد بنيويا قياسا على المعنى الذي تحمله كلمة البنيوية.

وعرّف الدكتور" الطيب دبة" في كتابه " مبادئ اللسانيات البنيوية" البنية قائلا:" أنها نظام يعمل وفق مجموعة من القوانين ذاتها دون مشاركة العناصر الخارجية، وإن البنية نظام تميزه الكلية (***Totalité***) والتحويل (***Transformation***) والانتظام الذاتي (***Autorégulation***) يتفق جميع البنيويون على مقابلة البنى ***Structure*** بالركامات (***Agrégats***) هذه الأخيرة التي تتشكل من عناصر مستقلة عن الكل، وبهذا التقابل يمكن القول إن خاصية النظام تبنى على مفهوم الكلية"[3].

ومن الكلام السابق يتبيّن لنا أن البنية نظام داخلي بوصفه بعيدا عن العناصر الخارجية، فهي تتسم بطابع الكلية، وأنها قابلة للتحويل وتتسم بالانتظام الذاتي فالبنيوية إذا مُشكَلة من عناصر مستقلة.

1– ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/152.

2– اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ص/197.

3– ينظر: مبادئ اللسانيات البنيوية – دراسة ابستمولوجية تحليلية –، الطيب دبة، حيدرة، الجزائر، (د–ط)، 2001، /41.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن "دي سوسير" لم يستعمل أبدا كلمة بنية، فالمفهوم الأساسي في نظره هو مفهوم النظام فالتجديد في مذهبه هنا هو في هذه الفكرة الغنية من حيث نتائجها، والتي تطلبت وقتا طويلا لتحديدها والتوسع فيها، أي في أن اللغة نظام متكامل، وهذا جعل "دي سوسير" مصطلح البنية مرادف لكلمة نظام.

ومفهوم البنية اتسم بصفة العلمية مما جعل الإنسان يدرك به الأشياء والظواهر حيث يرى "عبد الرحمن الحاج صالح "أن البنية من الوسائل لحصر الجزئيات ولولا البنية لما استطاع الإنسان أن يفكر بل لما استطاع أن يدرك الإدراك الحسي للظواهر والأمور التي حوله[1].

فبهذا المعنى البنية مهما تقلصت جزئياتها فإنها أرقى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في إدراك ما حوله.

ولهذا اختار" الحاج صالح" مصطلح البنوية المنسوب إلى البنية وفضله على كلمة (بنيوية) الشائعة عند اللغويين العرب المحدثين لوصف مناهج المدارس الملقبة(***Structuralistue***) ووضح سبب اختياره لهذه اللفظة بقوله: "اتبعنا في هذه السُنة رأي يونس بن حبيب النحوي الذي يقول في ظِبْيَة ظَبَوِيْ وهو أخف من ظَبِي ووَجَهه الخليل"[2].

بعدما أشرنا إلى مصطلح البنيوية ننتقل الآن إلى عرض أفكار" دي سوسير" حسب ما أورده "الحاج صالح"، حيث نجده يقول: "أنها النظرية التي وضعها وجردها سوسير وأنها نظرية مبنية على مجموعة من المبادئ والاعتبارات التي أهلتها لأن تصبح نظرية متميزة، كما أنّ هذه المبادئ تعبر عن

1– مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة، الجزائر، (د ط)، 2000، ص/16.

2– الفكر اللساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من خلال مجلة اللسانيات، منصوري ميلود "مقال" ، مجلة العلوم الانسانية ع7، 2005، ص/38.

رؤية وأفكار جديدة، تختلف عما جاء به سابقوه، وإن كانت دراساتهم ممهدة له"[1]،فأفكاره تتمثل في مجموعة من المسائل جاءت على شكل ثنائيات متقابلة تقوم على أسس علمية وأبعاد منهجية، ويمكن حصر ما قدمه سوسير فيما يلي:

– كيفية تحديده للعلاقة القائمة بين الدال والمدلول في الأذهان وفي الأعيان، وبناءه بذلك نظرية للدليل اللغوي (***Théorie du signe linguistique***) تفسر ماهية الدلالة اللغوية إلى حد ما وإشارته بعد هذا إلى وجود علم أشمل من علم اللسان يتضمنه ويتضمن الأنظمة الدلالية التبليغية الأخرى، يسميه (***Sémiologie***) أي علم الأدلة (أو علم السيمياء)[2].

– تمييزه بين اللغة (اللسان) والكلام، يقول: اللغة تختلف عن الكلام في أنّها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة، فاللغات البائدة(الميتة) مع أنها لم تعد تستخدم في الكلام، نستطيع بسهولة أن نتعلم أنظمتها اللغوية، فنتخلص من بقية عناصر اللسان الأخرى[3]..

وقد عقب "الحاج صالح "على ما قاله "دي سوسير" عن اللسان والكلام بقوله: "يجب أن نلاحظ أيضا أن النحاة العرب كانوا يعبرون عن هذين المفهومين لا باللسان أو اللغة في مقابل الكلام، بل بكلمة وضع في مقابل الاستعمال أو التأدية أو الأداء، وهم أول من بيّن الفرق بينهما وكانوا بنوا جميع تحليلاتهم عليها"[4].

- تحديده لموضوع اللسان، هو اللسان لا الكلام في ذاته.
- توضيحه لمعنى الارتباط في قول العلماء أن اللسان نظام (***Système***) ترتبط فيه جميع أجزائه بعضها ببعض على أساس اتحاد الهويات واختلافها (***Identitésetdifférence***)؛ أي أن العناصر

1– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/154.

2– ينظر: المرجع نفسه، ، ص/154.

3– علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، تر: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي، ص/33.

4– الفكر اللساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، منصوري ميلود "مقال"، ص/38.

اللغوية في ذاتها أمثلة تبقى هي في أذهان المتخاطبين وإن اختلفت تأديتها وعلى أن كل واحد منها يكسب هويته عند المتخاطبين بمقابلته (***Opposition***) لغيره(مبدأ التقابل)، إلا أن الاختلاف (...)هو جوهره النظام نفسه ،فاللسان هو مجموع المباينات الحاصلة بين عناصره، وعلى هذا فكل عنصر فيه كيان تبايني أو تفاضلي (***Différentiel***, ***Oppositif***) ونسبي (***Relatif***) وسالب غير موجب (***Negatif***).

- تمييزه الفاصل بين نوعين من الدّراسة الزمانية (***Diachronique***) والآنية (***Synchronique***)[1].

ويشير "الحاج صالح" إلى أن "دي سوسير" قد قام بمحاولة إصلاح الآراء الخاطئة التي أضلّت أكثر اللغويين الغربيين منذ أن افتتنوا بمفهوم التطور كمفهوم إجرائي في تحليل الظواهر وقابلوا به المعيارية النحوية أو المنطقية العقيمة فأداهم ذلك أن نفوا صفة العلم عن كل تحليل يختص بوضع اللغة في زمان معيّن...

ونشير هاهنا إلى أن "دي سوسير" لا ينكر أهمية دراسة التطور التاريخي، وإنما الذي ينكره هو أن تغلب النظرة التاريخية على النظرة التي تعمد إلى نظام اللغة في حالة من تطورها والمقصود بها الدراسية الدياكرونية (***Diachronique***)، واهتمام الباحث بالنظرة الآنية يعني أنه يهتم بدراسة اللغة في حالة سكونية أي: حالة معينة والعصر الأول من القرن العشرين هو عصر البنية أي الدراسة الوصفية للبنية وهو ما يسمى (***synchronique***) مكون من (***syn***) بمعنى (في) و (***chronique***) بمعنى (زمن) ويعني دراسة اللغة كما تبدو في نقطة معينة من الزمن وهو ما يقابل علم اللغة الوصفي[2].

1- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/154.

2- مفاهيم في علم اللسان، التواتي بن التواتي، ص/72.

من خلال ما سبق ذكره نخلص إلى أن "دي سويسر" قسم علم اللسان إلى نوعين من العلوم : وهما علم اللسان السكوني (***linguistiquestatique***) وعلم اللسان التطوري (***linguistiqueévolutive***).

بعد هذا ينتقل "الحاج صالح" إلى نُبذ من كلام "دي سويسر" تمثل بكيفية محسوسة أفكاره التي ذكرناها سابقا. قال:" يكون من الأفيد من غير شك لجميع العلوم أن تعتني أكثر بتوضيح المحاور التي تدور حولها موضوعات دراستها"[1]. يجب على هذا أن يميز في جميعها بحسب الصورة الآتية:

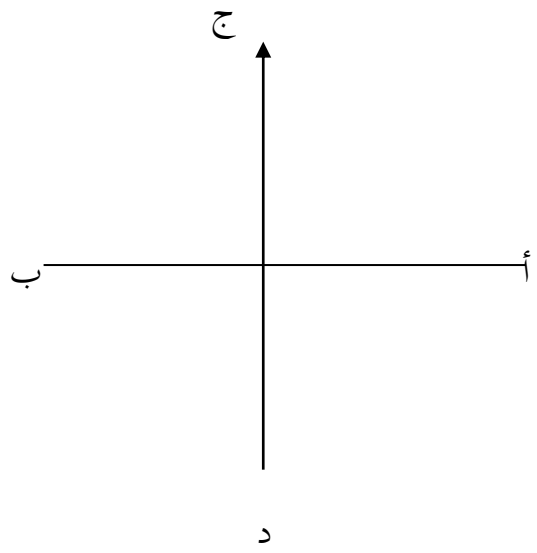

بين: 1) محور المتقارنان (أ ب)***axedessimultanéites*** وهو يخص النسب القائمة بين الأشياء المتواجدة (المتزامنة أي موجودة في زمن واحد) ولا دخل لظروف الزمن فيه.

وبين 2)محور المتعاقبان (ج د)***Axesdessuccessivités*** الذي لا يمكن أن تعبر فيه الأشياء إلا واحدا واحدا (أي منفصلة غير متقاربة) غير أنه توجد فيه جميع الأشياء الموجودة في المحور السابق بتحولاتها.

1– ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/164.

إن هذا التمييز بالنسبة إلى العلوم التي يتعلق موضوع بحثها بالمقدرات هو عمليا شيء ضروري وقد يكون في بعض الأحوال ضروريا على الإطلاق وبالنسبة إلى اللغوي فضرورته ألح لأن اللسان هو نظام من المقدرات الصرفة ولا شيء يمكن أن يحددها في خارج الحالة التي تكون عليها عناصرها (...).

ولا بد أن نضيف إلى ذلك أنه كلما ازداد النظام المتكون من المقدرات تعقدا وكان انتظامها أكثر دقة ، ازدادت من أجل ذلك التعقد نفسه ضرورة دراسته على المحورين كل على حدة ، والحال أن اللسان لا يماثله نظام في هذه الصفة : وبالفعل لا يمكن أن نلاحظ في أي نظام أخر مثل هذه الدقة التي تتصف بها مقدراته المؤتلفة فيه ولا مثل كثرتها وتنوع عناصرها ، ولا مثل تلازمها الشديد، هذا هو السبب الذي حملنا على التمييز بين نوعين من الدراسة في علم اللسان[1]

ويعلق "د/ عبد الرحمان الحاج صالح "على هذه المفاهيم والاعتبارات أنها لم تسلم كجميع النظريات الإنسانية من الانتقادات السلبية و الايجابية إلاّ أنها أصبحت الآن النظرة الأساسية التي بنيت عليها اللسانيات وأصبحت المفاهيم الرئيسية التي تكون جوهرها ومادتها أشياء مسلمة عند جميع اللغويين ، بل قلما رأينا في تاريخ البشرية نظرية تذيع وتسير بين الناس مثل هذه التي أخرجها دي سويسر يأخذ هذا منها ويَرُد، يرفضها البعض ثم يرجع إليها نادما خاشعا حتى البقية من التاريخيين المعاصرين وساقتهم تعترف لها بالفضل العميم وهذا يرجع لعدة أسباب [2]:

الأول: هو أن نظريته تمس ذات اللغة وأوضاعها(وكان اللغويون في زمانه لا يعرفون إلا جزئياتها ولا يهتمون إلا بتطور الجزئيات).

1– محاضرات في الألسنة العامة ، فرديناند دي سويسر: تر: يوسف الغازي ومجد النصر المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ص/101–102.

2– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمان الحاج صالح، ص/165.

الثاني: هو أنه قال في ذلك القول الفصل إذ لم يستطع أي أحد إلى الآن أن يبطلها إبطالا كليا أو يأتي بنظرية مخالفة وأصح منها في نفس الوقت وكل من حاول أن ينقضها فإنما اكتفى بنقض جزئياتها أو عنصر واحد من عناصرها أو تعرض لبعض أقواله الجازمة فقصد فيها كيفية إطلاقه للقول لا صميم القول.

الثالث: هو مرافقتها لما كان ينتظره هذا الجيل الجديد من الباحثين في بداية القرن العشرين و اعتماد هذا الجيل حتى الآن على أهم ما قاله سويسر.

الرابع: هو عدم مناقشة العلوم الأخرى لهذه النظرية بل بالعكس أيدتها وأسندتها بتبّنيها إياها أو باقتباسها لبعض مفاهيمها أو بمجرد توافق جهات الاعتبار بينها وبين أراء "دي سويسر" (وهذا راجع إلى ظاهرة توارد المعاني والمقاصد في داخل المجتمع الواحد) ولا تزال أفكار هذا اللغوي تّغَذي إلى يومنا هذا أقوال الفلاسفة والأدباء وعلماء الاجتماع وغيرهم على مستوى دول العالم[1].

وهذا لا يعني أنّها أفكار قد بلغت الكمال ولا شيء يمكن أن نضيفه إليها أو نزيله عنها، فإنها كغيرها من النظريات قاصرة ومحدودة، ومهما بلغته من الصحة والعمق فإنه أن تكون محدودة القدرة على تفسير جميع ما يخص اللغة.

ويوافق" التواتي بن التواتي" أستاذه في هذا قائلا : أن هذه النظرية لا تعني أنها قرآنا منزلا لا يمكن أن تنقد ، وأنها كاملة غير منقوصة ، إنما النظرية العلمية الحقّة لا يمكن أن تبطل كلها مثلها مثل النظرية النسبية لأينشتاين، رغم ما نالت من حظوة وما لعبته من دور في دفع البحوث العلمية إلا أنها وجدت من يبين مكامن النقص فيها بدون أن تُقَوِضَها كلية، فكذلك الأمر هاهنا، وإذا قلنا: إن

1 – بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمان الحاج صالح، ص/ 165.

نظرية سويسر أنها نهاية البحث في مجال علم اللّسان ، لقد حكمنا على الدّراسات اللسانية بالموت و الاضمحلال، وعلى البحوث العلمية كلها بالتوفق لما لها من علاقة بعلم اللسان[1]

ولا يمكن أن تكون نظرية علمية إلاّ إذا اعتمدت على استدلال عقلي قوي وصياغة دقيقة لحججها ومسالك تفريعها هذا مع ارتباط مفاهيمها فيما بينها ارتباطا وثيقا وإسناد الواقع لأكثر اعتباراتها وتخميناتها، ونظرية دي سويسر علمية بحق لاعتمادها على الاستدلال العقلي القوي (...) إلاّ أنّه يؤخذ عليها أنها غير كافية لتفسير وتعليل ظاهرة التبليغ اللغوي في المتكلم فلا يمكن أن تكشف عن ديناميتها الباطنية أي: كيفية حصولها من القوة إلى الفعل أو بعبارة أخرى: كيفية استعمال المتخاطبين لها أثناء إرسال الخطاب واستقباله[2].

لم يلتفت سويسر و البنيويون الذين جاءوا من بعده إلى هذا المظهر الهام والذي منحهم من ذلك هو اعتقادهم بأن كل ما خرج عن بنية الألفاظ المفردة ونظامها فهو راجع إلى الفرد. فالجملة مثلا بما أنّها تركيب لوحدات اللّغة يقوم به الفرد. فليست عندهم "لسانية" أي وصفية بل "كلامية" (أي: من جنس الأفعال الفردية لا من جنس المقدرات اللغوية)، ولذلك قال دي سويسر بأن اللّغة تنحصر كلها في اصطلاح التخاطب فهي بذلك أثر يسجله الأفراد في ذاكرتهم بكيفية سلبية وهذه عثرته حسب ما يزعم تشومسكي.

وهو أيضا ما يراه اللسان الجزائري" الحاج صالح" قال: وقد تنبه إلى ذلك لغويونا قديما وأجروا عليه أبحاثهم، لكن المتأخرين لم يعيروا انتباها لتراثهم لاستغلاقه عليهم واختلفوا: في هل "وضع الواضع المفردات الإنسانية أو المفردات خاصة دون المركبات" وأثنى على جهود النحاة الذين اهتدوا

1- ينظر: مفاهيم في علم اللسان، التواتي بن التواتي، ص/75-76.

2- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/165-167.

إلى وجه منهم وذكر" ابن إيار"* في شرح الفصول في قول ابن عبد المعطي "الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع" وهو ما ذهب إليه النحوي المغربي أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي (ت 606 هـ) وله مقدمة المسماة بالقانون شرحها الشلوبيين فإنه ممن أدرك جيدا مقاصد المتقدمين.

وورد في مقدمة الأجرومية "الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع" وكثيرا ما يردد النحاة هذا القول ويتعمقوا في مدلوله، ولم يدركوا أهميته بالنسبة للبحوث الحديثة[1].

وينقل لنا "التواتي بن التواتي" رسم بياني لشرح منهج" دي سوسير "في دراسة اللغة لأنه ضروري لتشخيص الوحدات ودراستها على محورين كل على حدة[2]:

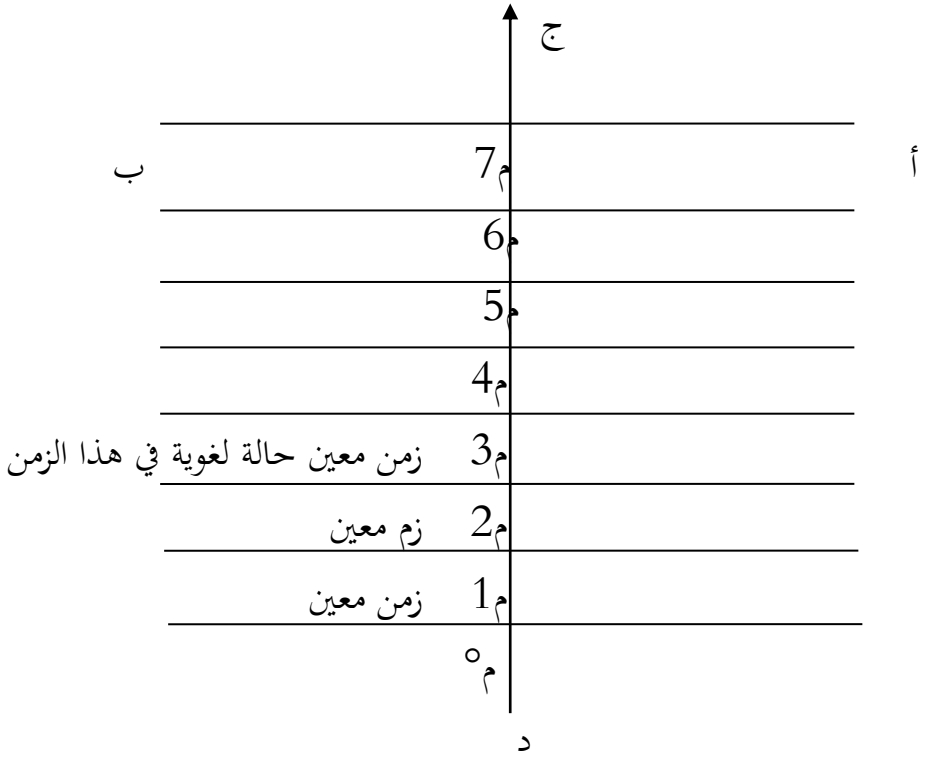

رسم بياني يوضح منهج دي سوسير في دراسة اللغة.

* وهو جمال الدين أبو محمد بن بدر بن إيار المتوفي سنة(681هـ) شرح كتاب فصول الخمسين وسماه "المحصول في شرح الفصول"

1- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمان الحاج صالح، ص/167.

2- ينظر: مفاهيم في علم اللسان، التواتي بن التواتي، ص/77.

شرح الرسم:

يتصور "دي سوسير" العلاقة بين النظرة التطورية والنظرة الآنية على شكل تقاطع فالعمودي يدل على ممر الزمان أي: كأنّ هناك حركة زمنية كلما ما بعدنا في العمق كلما ذهبنا في القدم فنقول: النقطة الفلانية هي زمن نزول القرآن الكريم والنقطة الفلانية هي زمن اختلاط العرب بغيرهم، وكل نقطة أعلى من نقطة دونها فهي تطور لهذه اللغة وما تحته فهو حالة من حالات هذه اللغة، وعلى ما ذكرنا فإن الخطّ العمودي يمثل مرور الزمان وانتقال اللغة من حالة لأخرى إلى نهاية التطور الزماني المتواصل.

أما الأوضاع أو الحالات فمنقطعة مثلا: النقطة من (م1 إلى م4) صعودا تمثل اللغة في القرون الأولى حين كانت الدراسات اللغوية في عصرها والتطور الذي حدث للغة أثناء البحث اللغوي عند العرب.

أما نقطة (م6) فتمثل اللغة في زمن ما فالخط الأفقي يدل على حالة اللغة في وقت معين فالدراسة السيكرونية (***Synchronique***) تتعرض لحالة معينة من تطور اللغة والدراسة الزمانية تتعرض لحالتين حالة هذه نقطة الانطلاق وحالة هي حالة الوصول، فالدراستان إحداهما مكملة للأخرى حسب سوسير لا بد أن نبدأ بالدراسة السنكرونية، وينبغي أن نعرف على أي وضع بنوي كانت عليه اللغة في زمن معيّن[1].

ونشير هنا إلى شيء هام في التطور وهو نظام اللغة فإن أسرع شيء إلى التغيير عبر الزمان هو النظام الصوتي ونظام المدلولات (مدلولات الألفاظ) أما النظام النحوي والصرفي فهو بطيء ؛ لأن النظام الصوتي نظام فيزيائي أكثر منه روحاني، ثم العادات الصوتية المكتسبة ليست مثل العادات

1 – مفاهيم في علم اللسان، التواتي بن تواتي، ص/78.

الصوتية الأصيلة، ولذلك فإن كل مكتسب لغة من اللغات يميل إلى إفساد بدون ما شعور هذا النظام الصوتي الذي يحاول اكتسابه مثل ذلك: إنسان أجنبي يتعلم اللغة في كبره أو كاختصاصي لغوي كالمستشرقين مثلا فإنّه حين يتحدث عن اللغة من حيث قوانينها وتراكيبها وأساليبها، وكل ما تعلق باللغة فنجدها ربما خير من أبناءها، لكن عندما يتلفظ بها فإنّ التحكم في أصواتها يخونه (أي: اللكنة الصوتية لا يمكنه أن يتخلّص منها)[1].

ينبغي الآن قبل أن نختم هذا العرض التاريخي أن نشير إلى المدارس التي ظهرت بعد دي سوسير وقد أشار إليها "الحاج صالح" إشارة وجيزة. وأغلب هذه المدارس والبحوث كانت امتدادا وتوسيعا لمذهب البنية اللغوية الذي وضع أسسه سوسير وبعض معاصريه ويمكن أن ترتب هكذا:

1– المدارس المنبثقة من مذهب سوسير[2]:

– مدرسة جنيف: تكونت من أتباع دي سوسير السويسريين: بالي (***A. Bally***) وسيشهاي (***sechehay***) وهما اللذان جمعا ونشرا دروس دي سوسير، وكان لكل منهما بحوث ذات صفة خاصة، ومن هؤلاء الأتباع نذكر هنري فراي (***H.Frei***) وهو عالم جليل والباحث روبرت كوديل(***R.Godel***).

– حلقة براغ: نشأت يوم دخل تروباتسكوي وياكبسون وكرسيفسكي في الحلقة التي كان قد كونها بعض اللغويين التشيكيين، ففي سنة 1928م ظهرت الفونولوجية على مسرح النشاط العلمي العالمي بصفة رسمية وحدث ذلك في المؤتمر الدولي الأول للغويين الذي انعقد في "لاهاي" وفيه طرحت آراء هؤلاء الباحثين الروسيين وينتمي إلى هذه الحلقة الباحثون التشيكيون: ماتسيوس (***V. Mathesius***) وترنكا(***Trnka***) وفاشيك (***J. Vachek***).

1– مفاهيم في علم اللسان، التواتي بن التواتي، ص/78.

2– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/167.

وأخص شيء تمتاز به هذه المدرسة عن غيرها هو اعتمادها الأساسي (أو الدور) الذي تؤديه العناصر اللغوية في عملية التبليغ، ولهذا سميت النزعات المتفرعة عنها (ومنها مدرسة مارتيني الفرنسية الوظيفية)[1].

– حلقة كوبنهاغن اللغوية: ظهر الاهتمام بالأفكار اللغوية الجديدة بالدانمارك في وقت مبكر، وظهرت في الربع الأخير من القرن العشرين نزعة بنوية جد متأثرة بأفكار دي سوسير وأشهر من كان يمثلها هم:

بروندال (***V.Brondal***) ويلمسليف (***L.hjelmslev***) وهو ما بدأ فيها ما يسمى بالتحليل الشبه الرياضي و"أولدال" (***H.ldull***) وهذان اللغويان الكبيران هما اللذان أسسا ما سمياه بال ***Glossematique**** وهي تمثل نظرية دي سوسير في أقصى درجات التجريد الصوري وينتسب إلى هذه الحلقة كثير من اللغويين الغربيين.

2– المدارس التي لم تنبثق عن السوسيرية (إلا أنها تأثرت بأفكاره فيما بعد):

– المدرسة الروسية: وكانت في أول الأمر حلقتين: حلقة موسكو رائدها فورتاناتوف (1848–1914م) وحلقة قازان سميت بذلك، لأن صاحبها بودوان كورتوني كان يدرس في هذه المدينة عدّة سنوات، وجمدت حركتهما بسبب ظهور نظرية في منتهى السخافة، وعادت الأمور مجراها سنة 1950م[2].

1– المدارس اللسانية في العصر الحديث، التواتي بن التواتي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1433هـ–2012م، ص/05.

*** شرح ماريو باي هذا المصطلح في معجمه glossary of linguistic terminology بأنه تحليل شبه رياضي للغة مؤسس على التوزيع والعلاقات المتبادلة بين الجلوسيمات glossemes وقد شُرح هذا المصطلح بأنه أصغر وحدة ذات معنى أو أنه أصغر وحدة يمكن أن يصل إليها التحليل اللغوي أو الوحدة التي لا تقبل التقسيم أو كل ما يحمل معنى، (أسس علم اللغة، ماريو باي، تر: أحمد مختار عمر، ص/257.)**

2– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/170.

- **المدرسة الانجليزية:** تتكون من نزعتين انطلقت إحداهما من تلك الفونولوجية التي وضعها العالم الصوتي المشهور دانيال جون (***D. jones***) والأخرى هي مدرسة قائمة برأسها تتمايز تماما عن النزعات التي ظهرت في ذلك العهد (1927م) وصاحبها (***J.R.Firth***)وأكثر اللغويين الانجليز في زماننا هم من أتباع هذا الرجل ولهذه المدرسة أعلام كثر ذكرهم أستاذنا" د. عبد الرحمن الحاج صالح "ونسب لبعضهم كثيرا من البحوث اللغوية العميقة[1].

– المدرسة البنيوية الأمريكية: انبثقت من المجهودات التي بذلها اللغويون في وصف اللغات الأمريكية الأصلية وصفا موضوعيا علميا، وفي ظل هذا الاهتمام نشأت الدراسة اللسانية الوصفية على يد فرانس بواس (***F. Boas***) وتلاه سابير (***E. sapir***) ثم بلومفيلد خاصة بعد إسقاطه لمفاهيم النظرية السلوكية على التحليل الوصفي اللغوي.

إذن من خلال ما سبق نستنتج أن الدّراسات اللّغوية التي عرفتها البشرية قد مرت بثلاث مراحل هي: النحو التقليدي، الفيلولوجيا، اللسانيات، هذه الأخيرة التي تهتم بدراسة اللغة دراسة علمية جاءت نتيجة لتضافر ثلاثة عوامل منها:

- اكتشاف اللغة السنسكريتية.
- ظهور القواعد المقارنة.
- نشأة علم اللغة التاريخي.

واستمر علم اللغة التاريخي يتماشى مع الدّراسات إلى أن ظهر علم اللّغة الوصفي – في القرن العشرين– وهو من العلوم الحديثة التي لا تزال في أوج تطورها حيث ارتبط هذا المفهوم ارتباطا وثيقا بالعالم السويسري فردينان دي سوسير الذي دعا إلى العلمية في دراسة اللغة وأن اللغة تدرس وفق

1– ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/170.

منهج علمي معتمدا على مبادئ العلم التجريبي انطلاقا من :"أنّ موضوع علم اللغة الوحيد والحقيقي هو اللغة التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته ويبحث فيها لذاتها"[1]

ويمكن أن نوجز ما قلناه بشأن المدارس اللسانية في المخطط الآتي:

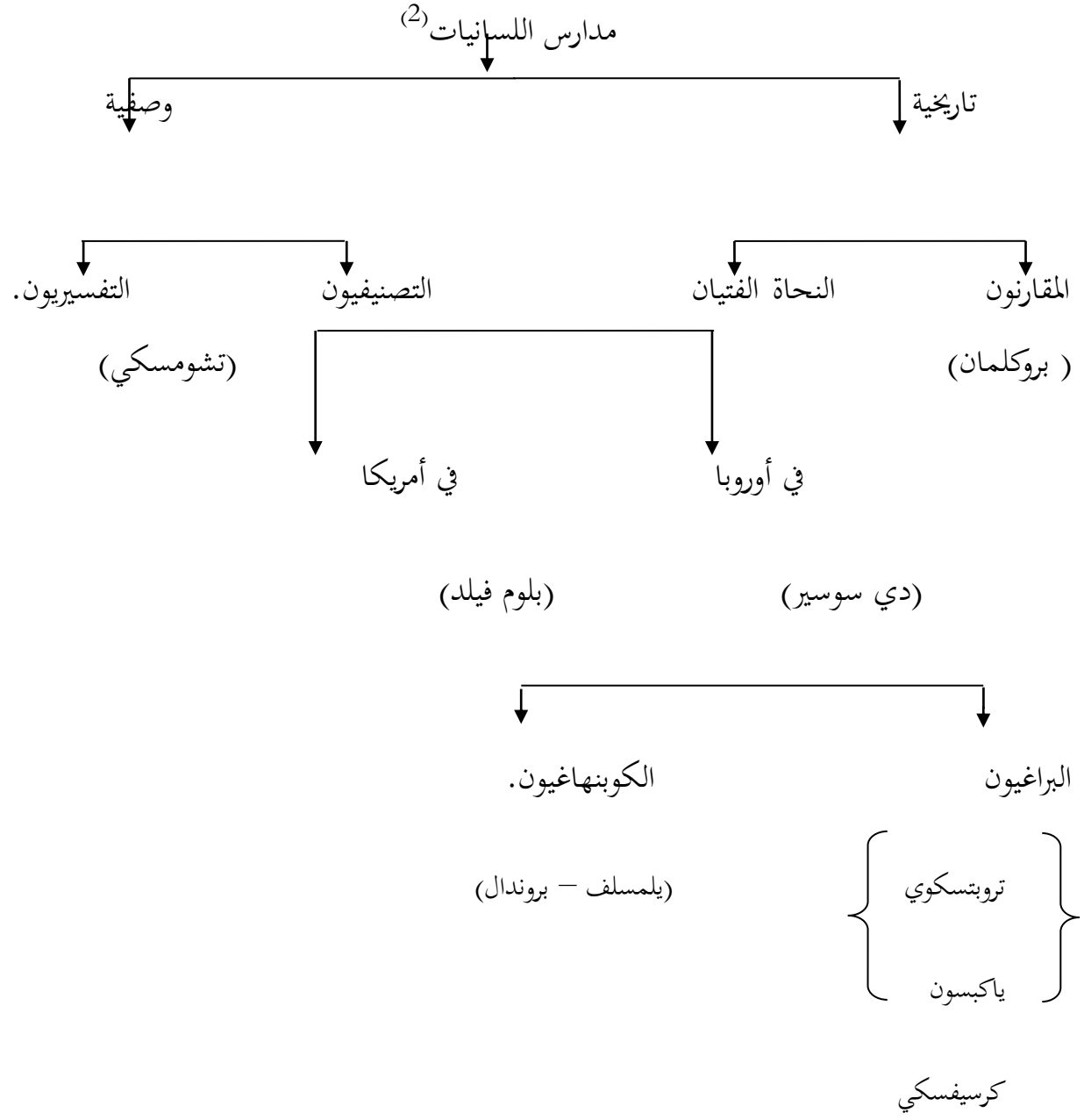

1– مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، ص/39.

2– الأصول، تمام حسان، عالم الكتب، أميرة للطباعة، القاهرة، 2000، ص/24.

الفصل الثالث

الاتجاهات اللّسانية في العصر الحديث

المبحث الأول: علم اللّسان وصناعة تعليم اللّغات

المبحث الثاني تعليمية اللّغات وإجراءاتها العملية

تمهيد:

سيحاول هذا الفصل أن يقتصر في دراسته هذه على ما هو في خدمة التعليم، ولهذا نجد "عبد الرحمن الحاج صالح" تطرق إلى هذا الموضوع في العديد من مقالاته المنشورة في مختلف المجلات والكتب، وسنقتصر في حديثنا –كما سبق وأن أشرنا– عم جاء في كتابه "بحوث ودراسات في علوم اللسان".

يستهل "الحاج صالح" حديثه بالإشارة إلى المشاكل التّربوية التي تعترض طريق الترقية العلمية والثقافية واصفا إياها بالجسيمة والعويصة، وهو لا يرجعها فقط إلى قلة تفهمنا لجوهر هذه المشاكل أو عدم معرفتنا للحلول التي اقترحت وطبقت بالفعل في خارج أوطاننا لفائدة النشئ غير العربي، بل يرجع بصفة خاصة إلى الوضع الاقتصادي والثقافي والذهني الذي ورثناه من عهد الجمود والانحطاط قبل الغزو الأوروبي وعهد الإفقار والتجهيل الذي عرفناه بعد هذا الغزو، أثناء الاحتلال الاستعماري أو السيطرة الأوربية على اختلاف أنواعها[1].

ويضيف "الحاج صالح" إلى جانب هذا المشكل مشكلا آخر قلّما تنبه له علماؤنا واختصاصيونا على حد تعبيره، وهو الإعجاب بالنظريات العلمية ومناهج التحليل الغربية فـ " تقبلوها هكذا جزافا دون أي نظر فيها وأي تمحيص، فتؤديهم اللذة التي يحدثها كل جديد، أو ما يبدو أنه جديد إلى نبذ كل ما أبدعه علماؤنا قديما في علوم اللسان، مما استغلق أو قد يستغلق فهمه على الناس، أو خفي عنهم – ولا سيّما اللغويين الغربيين– وبالتالي أن يحاول لغويونا تطبيق النظريات الحديثة (التي قد تكون موضع جدال في البلدان الغربية نفسها حتى الآن) على اللّغة العربية تطبيقا عشوائيا لا شيء إلاّ لأنها حديثة وأنها أتَتنا من تلك البلدان[2].

1– ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/173.

2– المرجع نفسه، ص/174.

والبيّن من كلام الأستاذ أنه لم يقصد "رفض التجارب اللّسانية الحديثة في العالم الغربي، وبالتالي قرر أن النقص ليس في هذه المناهج في حد ذاتها، وإنّما هو في الاعتقاد بكمال كل حديث، وكل أجنبي، والذي يرافقه هجوم على الموروث اللّغوي العربي، أو تناسيه وتجاهله جملة وتفصيلا بدعوة الحداثة"[1].

ولهذا نجده يوصي بالأخذ بعين الاعتبار الانتقادات والاعتراضات والتحفظات إزاء هذه النظريات وذلك على أساس متين يعتمد المعرفة الواسعة العميقة للتراث العلمي العربي والتراث العلمي اللغوي بصفة خاصة وذلك لتلافي الأحكام المتسرعة وتحاشي التقليد الأعمى والتطبيق المخطئ.

وباعتبار اللّسان ظاهرة طبيعية له قوانين وبنية معينة، فقد تناولته أجيال كثيرة غربية وعربية، أما ما يسميه الغربيون باللسانيات العامة ***General linguistics*** حسب تعبير "عبد الرحمن الحاج صالح "فهو يطلق على الدراسة الموضوعية للظواهر اللسانية العامة الوجود منها والخاصة، وذلك من خلال الألسنة الخاصة بكل قوم والغاية منها هو الكشف عن أسرارها وقوانينها سواء كان في مستوى النظام المتواضع عليه أم في مستوى الكلام، وكيفية تأدية المتكلمين لوحداته وتركيباته في المخاطبات (الشفهية والكتابية) ومقصودهم الأسمى هو أن يصفوا آليات اللسان الوصف العلمي الدقيق ويتحاشوا بذلك التحديد التحكمي للمعايير اللغوية[2]. ومن هنا ظهرت النزعة الوصفية في النصف الأول من القرن العشرين، أي النظرية الوصفية التي جاء بها فردينان دي سوسير في مجال الدراسات الوصفية للسان البشري.

1– التفكير النحوي عند عبد الرحمن الحاج صالح، سعاد شرفاوي، مذكرة ماجيستير، جامعة قاصدي مرباح– ورقلة، 2009– 2010م، ص/79.

2–ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/174.

إلّا أنّ هذه النظرية الوصفية كغيرها من النظريات تشوبها بعض النقائص، ولعل أبرزها تجاهلها للظواهر المتعلقة بالقدرة التي منحت للإنسان على الكلام للدلالة على أي غرض كان، وبالتالي على كيفية إحداثه له، وكيفية تحقيقه للعبارات المختلفة اللامتناهية بالمتناهي من الوحدات، كما تناست من ثّم أنّ النظام الباطني للسان لا يمكن أن نعرف أسراره بعملية وصفية مجردة فقط(...) فلا بد إذا من أن يتجاوز اللغوي الوصف والتصنيف إلى ما هو أهم من ذلك ، وهو بناء المثل والأنماط الصورية التي تكون كالتمثيل والتقدير للمثل الخفية التي يفرع عليها المتكلم بدون ما شعور منه[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الباحث "نعوم تشومسكي" هو من نبّه إلى نقائص النظرية الوصفية من خلال ما جاء به في النظرية التوليدية التحويلية.

وينقل لنا "التواتي بن التواتي" حديثا "للحاج صالح" فيه إشارة إلى تأثر الميدان التربوي أو ما يعرف بصناعة تعليم اللغات بالنظرتين (الوصفية- التوليدية التحويلية)،وهنا يحتاج الباحث الذي يطبق معطيات علم اللّسان على هذا الميدان إلى معلومات يستمدها من علوم التربية أولا وعلم النفس ثانيا، ثم يتخير من المعلومات اللّسانية القوانين والمبادئ التي يراها أساسية بالنسبة إلى تعليم اللّغة ويجري التجارب الكثيرة لتظهر له كيفية تطبيقها فالمقصود هو إشراك علم النفس وعلم التربية وعلم اللّسان في تعليم اللغة[2].

1: ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان ، عبد الرحمان الحاج صالح،ص/175.

2- مفاهيم في علم اللسان، التواتي بن التواتي، ص/39.

المبحث الأول: علم اللّسان وصناعة تعليم اللغات:

1-1- المعلومات اللّغوية وطرق تبليغها:

لقد أشار" الحاج صالح" إلى وجود نوعين من المعلومات اللغوية النوع الأول "هو المعلومات الراجحة إلى الملكة اللسانية"[1]، وهي تأخذ شكل المثل والآليات الإجرائية التي لا يحصلها المتعلم إلّا بالمران والتدريب المنظم والمكثف ومجموع هذه العمليات هو ما يسميه المختصون بقوانين الترسيخ العلمي ومقاييسه.

ويصرح" لطفي بوقربة" أنّ "كل إنسان يولد يحمل استعدادات على الفعل اللغوي، ثم يكتسب عادات وآليات وصيغ، ومهارات عملية تمكنه من تعلم اللغة واستعمالها وفق مقتضيات التواصل المختلفة، ويعتبر تشومسكي أن البنية اللغوية عند الإنسان لها حالات متعددة، حالة أولى فطرية: هي المرحلة الأولى للدماغ، فحالات وسطية: توجد عند الطفل، فحالة قارة نسبيا: توجد عند الإنسان البالغ"[2].

وفي هذا الشأن يقول "الحاج صالح": "كل إنسان مفطور على تلك الجبلة وهي القدرة على اكتساب وضع ما من بين الأوضاع التبليغية (...) و هي في الحقيقة علم من قبيل الفعل المحكم، فمعرفة المتخاطبين لأوضاع اللغة التي يتخاطبان بها هي معرفة غير نظرية، ارتسمت أنماطها ورسخت في نظامه العصبي المركزي منه والخارجي فاستطاع بذلك أن يحكم أفعاله"[3].

1 – ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/176.

2– محاضرات في اللسانيات التطبيقية، لطفي بوقربة، ص/08.

3–المرجع السابق، ص/176– 177.

أما النوع الثاني: فيخص اللساني وهو العالم بأسرار اللسان، فإن معرفته لظاهرة اللسان هي معرفة علمية محضة، وغير ملكته اللغوية التي اكتسبها مثل أي إنسان آخر في اللغة التي يحكمها، وهي من قبيل المعرفة النظرية البحتة.

وهذا ما صرح به "ابن جني" في قوله "بالقوة لا بالصنعة؛ أي بدون ما شعور صريح لقوانين ملكته تنتظم عليه نظرية علمية"[1].

وأيضا "ابن خلدون "صرح بهذا في مقدمته: "إن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية (أي علم اللسان العربي) ومستغنية عنها في التعليم والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهو علم بكيفية لا نفس كيفية فليست نفس الملكة، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها عملا، وهكذا العلم بقوانين الإعراب(...) إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل"[2]

وهكذا فإننا نجد في علم اللّسان معلومات دقيقة ومعلومات تطبيقية راسخة في الأعصاب فهناك نوعان من المعارف:

أ- معرفة مشعور بها في حيز الشعور مثلا القواعد والقوانين.

ب- معرفة لا شعورية تكسب بالرياضة والتدرب المحكم أعني التدريس الذي يخضع لقوانين أخرى تدخل في اللسانيات المسماة التطبيقية[3].

1- بحوث و دراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/177.

2- المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد الوافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2006 ،ج3، ص/1081- 1082.

3-مفاهيم في علم اللسان، التواتي بن التواتي، ص/37.

ثم نجد "الحاج صالح" يشير إلى أن كل هذا قد يبدو بديهيا إلاّ أنّه في غالب الأحيان يجعل الأمور تلتبس على الكثير من الناس، وأخطر هذه الالتباسات هي التي أدت الأجيال السابقة – طيلة قرون– إلى أن يتخذوا النحو والصرف في صورتهما النظرية البحتة وسيلة مجردة من كل تكييف لاكتساب الناس الملكة اللغوية، ثم أدتهم أيضا إلى تجهيد البحث العلمي الحقيقي في أسرار العربية وإغلاق باب الاجتهاد عليها، وذلك لاعتقادهم الراسخ في أذهانهم أن هذين العلمين إنما هما مجرد وسيلة لتحصيل الملكة اللغوية، ولم يتصوروا أن البحث العلمي وإن كان يرمي في مستوى الدولة والأمة إلى تحسين أحوال الناس، إلّا أنّه ميدان من النشاط قائم برأسه أهدافه القريبة الخاصة به هي الاكتشاف المستمر والخلق والإبداع في جميع ميادين المعرفة[1].

1-1- طبيعة العلاقة بين علم اللّسان وصناعة تعليم اللغات:

نجد "الحاج صالح" في هذا المضمار يتحدث عن طبيعة العلاقة بين الجانب النظري والتطبيقي واضعا إياها بالجدلية ومشيرا إلى أن العلم في حد ذاته لا يمكن أن ترتقي نظرياته ومناهجه، وتكثر اكتشافاته إلاّ إذا اختبرت نتائجه في ميدان التطبيق. فكم من نظرية كاد يجمع على صحتها و نجوعها العلماء لعمقها ودقتها قد احتاجت بعد الاختبار في واقع الأحداث إلى أن يعاد النظر فيها، لا في جملتها، بل في بعض جوانبها(وإلا ما كانت نظرية علمية حقيقية بل مجموع آراء لبعض المتسرعين في الحكم)، وعلى العكس من ذلك فإن الانجازات لا يمكن أن تتم إلاّ إذا اعتمدت على مجموعة متماسكة من المبادئ العلمية فتستوحي مادتها ومحتواها مما يثبته العلم على ممر الأجيال[2].

ويستمر الأستاذ في طرح هذه القضية بحيث نجده يشير إلى الخطأ الذي يرتكبه بعض الغربيين في فصلهم الجانب النظري عن الجانب التطبيقي قائلا: فالغلط الذي يرتكبه بعض الغربيين إنّما هو في

1- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/177- 178.

2- المرجع نفسه، ص/178- 179.

فصلهم الفصل المطلق بين البحث النظري والبحث التطبيقي، وهذا من أخطر ما يمكن أن تصاب به العلوم؛ لأنّ العلم إذا انقطع عن الواقع ولم تختبر نتائجه على محك التطبيق، فسيبقى مجرد فلسفة، كما أنّ التطبيقات إذا أبقيت على أوضاعها الأولى ولم يدخل على أسسها النظرية أي تجديد وأي تطوير فسيكون مآلها الجمود والروتين.

فالبحث العلمي هو واحد سواء كان ما يرمي إليه هو اكتشاف أسرار الأحداث أم كيفية استغلال هذه الأسرار في مختلف ميادين الحياة[1].

هذا بالنسبة إلى الاختصاص الواحد أما إذا احتاج البحث التطبيقي أكثر من اختصاص ونخص بالذكر تعليم اللغات، فيرى "الحاج صالح" أن "هذا الجانب لا يهم المختص في علم اللسان فقط، بل الباحثين في علوم التربية وعلم النفس وحتى الأطباء المتخصصين في علم الأعصاب والتبليل (علاج أمراض التعبير) وكذلك الاختصاصيون في علم الاجتماع وغيرهم"[2].

ويشير "التواتي بن التواتي" في حديثه عن الفرق بين الجانب النظري والتطبيقي إلى علاج أمراض الكلام فالباحث في نظره في هذا الميدان لابد أن يكون طبيبا أو من يحذوا حذوه ، ولابد أن يكون على دراية واسعة بشيء كثير من المعلومات التي تنتاب اللسانيات مثلا: ينظر إلى أشياء لغوية غير مصاب أصحابها ،ثم ينظر إلى سلوك الذين أصيبوا بعاهة وبذلك نصل إلى أمراض التعبير وبتعاون بين الطبيب الذي له علم باللّسانيات واللّساني الذي له علم فيزيولوجي[3].

1–ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/179.

2– ينظر: المرجع نفسه، ص/179.

3– مفاهيم في علم اللسان، التواتي بن التواتي، ص/39.

وبهذا التعاون المشار إليه فقد توصلوا إلى نتائج مهمة نذكر منها ما يلي: أن الاضطرابات التي تعتري الكلام بسبب آفة تصيب جهة معينة من الدماغ أو أكثر أو هي التي أطلق عليها الأطباء العرب المعاصرون اسم "الحبسة" وهي نوعان: حصر وهُراء .

وهذا ينطبق على جميع الاختصاصات السابقة الذكر، والتي عمل الأستاذ على إبراز دورها في ميدان تعليم اللغات مؤكدا أنه لا يمكن أن تستقل نظريات اللساني في ميدان تعليم اللغات إلا إذا استغلت في نفس الوقت نظريات الباحث في علم التربية وعلم النفس وغير ذلك، بل قد يؤدي البحث التطبيقي الجماعي المشترك إلى أن تستفيد هذه النظريات المختلفة المنابع بعضها من بعض حتى تصير أرقى وأكمل مما كانت عليه وهي مقصورة على الاختصاص الواحد[1].

خصوصا وقد تنبّه الباحثون إلى أن هناك حقيقة قد يتجاهلها اللسانيون والمربون الذين يعمل كل واحد بمعزل عن الآخرين، وهو أن بين البنى اللغوية وكيفيات اكتسابها علاقات ثابتة وقوانين خفية يجب أن يكشف عنها الغطاء وأن تُصاغ على ما تتطلبه الصياغة العلمية الدقيقة.

هكذا نجد الأستاذ "الحاج صالح" يدعو إلى تضافر الجهود بين التخصصات التي على الرغم من اختلاف مناهجها وأهدافها إلّا أنّها تتكامل في مجال تعليمية اللغات.

1 ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/180.

1– 3 القوانين اللسانية التي ينبغي للمربي أو مدرس العربية معرفتها:

1–3–1 الإلمام بما جَدَّ في صعيد البحث اللساني:

فعلى حد تعبير "الحاج صالح " أنّه "لا يمكن لمدرس اللغة اليوم أن يجهل ما أثبته العلم في عصرنا الحاضر من حقائق وقوانين ومن معلومات مفيدة، ومناهج ناجعة في التحليل اللغوي"[1].

ومن البيّن أن علم اللّسان تشترك معه العديد من التخصصات كميادين علم الأصوات وهو فرع من الفيزياء، وفيزيولوجية الأصوات والدماغ والأعصاب وعلمي النفس والاجتماع وميدان المعلوميات (***Informatique***)وعلم الضبط الآلي (***Cybernétique***) والإلكترونيك النظري والتطبيقي وغير ذلك من ميادين البحث التي أفادت منها اللسانيات[2].

ثم نجده يشير إلى اكتشاف مهم بالنسبة إلى الباحثين في اللسانيات بصفة عامة والباحثين العرب بصفة خاصة، وهو وجود مجموعة من المفاهيم والتصورات العلمية، بجانبها مجموعة من المناهج التحليلية عند أقدم النحاة العرب لا تقل أهمية عما أثبته الدرس اللساني الحديث، فهناك مفاهيم لغوية عربية كثيرة لا تعرفها اللسانيات الغربية مثل "العامل".

وعلى العموم فهناك مصطلحات وإن كانت قد حافظت على صيغتها اللفظية عند المتأخرين من النحاة، فإن كثيرا من مفاهيمها قد حرفت عن محتواها الأصيل مما أدى إلى كثير من التخليط المعرفي والمنهجي في الدراسة اللغوية[3]؛ فالمسند والمسند إليه عند سيبويه غير المسند والمسند إليه عند

1– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/181.

2– ينظر: المرجع نفسه ،ص/182.

3–ينظر: أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، بشير إبرير، "مقال"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر – بسكرة، ع7 فيفري 2005، ص/11.

المتأخرين، وهما غير المبني والمبني عليه، وبناء كلمة على أخرى في التركيب غير الإسناد والتفريع والشغل كما يظنه المتأخرون[1].

وتجدر الإشارة إلى أن الكلم عند سيبويه اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وبما أن الحركات هي أبعاض لحروف المد، فإن الحركات الإعرابية عنده هي أيضا كلمات، وكل ما يمكن أن يقطع في درج الكلام مما يدل على معنى فهو كلمة. وليست كذلك عند ابن مالك فإنّه يحددها هكذا: " لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقا أو تقديرا أو منوي معه"[2]، وعلى هذا القول الأخير فإن قولنا بصري منسوب إلى البصرة كلمة واحدة، وقد سماها "ابن يعيش" و"الرضي" لفظة، وهي كلمتان عندهما، وقد أصابا في ذلك.

كما أشار في كتابه "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية": "إلى أن سيبويه لم يقف عند كلمة حرف كما يفعله أكثر من جاء بعده، ومعناها: الكلم اسم وفعل وعنصر آخر جاء لمعنى أي لم يأت للدلالة على ذات (***Object***) كالاسم أو حدث (***Brocess***) كالفعل، بل على معنى مثل الاستفهام أو النفي أو غير ذلك مما يضاف إلى الاسم والفعل وليس ذلك اسما وفعلا؛ لأنّ بعض الأسماء والأفعال تدل على هذه المعاني كالظروف وأسماء الاستفهام والأفعال الناسخة وغير ذلك"[3].

ثم " إنّ الكلم نوعان: متمكن يتمثل في الأسماء والأفعال المتصرفة التي لا تحتاج إلى غيرها في الدلالة على معناها، وغير متمكن يتمثل في حروف المعاني والأفعال الناقصة وغير المتصرفة والأسماء

1–ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/183.

2– المرجع نفسه، هامش، ص/183.

3– المرجع نفسه، ص/242.

المبنية، فالكلم المتمكنة يبتدأ بها ويتوقف عليها، لأنّها تنفرد بنفسها في مدرج الكلام وتتركب من أصل وصيغة، وأما غير المتمكنة فتحتاج إلى غيرها من الكلم وينعدم فيها الأصل والصيغة"[1].

1-3-2) ظواهر اللسان والتبليغ في منظور اللسانيات الحديثة:

لقد تعرض الأستاذ إلى ظواهر اللسان والتبليغ جملة وتفصيلا وابتدأها بـ:

أ- اللسان أداة تبليغ: "فتلك هي وظيفته الأصلية، أما غيرها من الوظائف ففرع عليها"[2].

أما الأداة فتعني أن للسان وظيفة وشغلا قائما برأسه وهو هذا التبليغ أو التخاطب ويترتب على ذلك وجود جهاز أو نظام يتحكم في هذه الوظيفة.

أما التبليغ والتواصل هو التخاطب المتبادل بين أفراد جماعة ما هو عبارة عن تبادل معلومات وأغراض بكيفية معيّنة، تلك إذن هي الوظيفة الرئيسية التي تؤديها الألسنة البشرية وعلى أساسها يمكن أن تشخص الوحدات اللغوية وتصنّف[3].

ويؤكد الأستاذ أنه بعملية التبليغ تتبلور وتتحدد الأفكار والمعاني (بعد أن كانت مجرد أحاسيس)، وبذلك تستطيع الذات أن تبني كيانها (...) ثم تتنوع بعد ذلك الأغراض في الخطاب نفسه، ونذكر منها: التعبير عن كل ما يختلج في النفس من عواطف وانفعالات ورغبات ومختلف الأحوال النفسية وإرادة التأثير في مشاعر الغير، أو إثارة أحوال نفسية معينة في الغير، والتحليل للواقع

1- أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، بشير إبرير، ص/14.

2- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/184.

3- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، ص/24-25.

(وتدخل اللغة نفسها في هذا الواقع)، ثم التفنن والتلاعب بالألفاظ وغير ذلك من الأغراض العادية غير الشاذة[1].ويترتب على ذلك:

– حيوية اللغة تقدر بالإضافة إلى كثرة استعمالها في التخاطب اليومي العفوي الذي لا صنعة فيه ولا تكلف، فإذا انحصر استعمالها في بعض المناسبات، وبعض الظروف المعينة كالخطب والمحاضرات والندوات الرسمية والنشرات الإخبارية وغيرها، انقطعت عن الواقع المعيش في أكثر مظاهره وصارت لغة هامشية، وعجزت عن تأدية الكثير من مفاهيم الحياة[2]، ومعنى هذا أنّ اللّسان أداة يحصل على مقاييسها تحليل للواقع.

– اللغة المنطوقة هي الأصل، ولغة التحرير فرع عليها، ومعنى ذلك أن استعمال اللغة هو مشافهة قبل أن يكون كتابة وتحريرا.

ويضيف "الحاج صالح" في هذا الشأن: لقد ألح علماؤنا على أهمية المشافهة والسماع ،وأن اللغة أصوات مسموعة قبل أن تكون مكتوبة، وأن الخطّ تابع للفظ وبالنسبة للعربية فيجب أن تجعل التأدية العفوية للغة الفصحى في مستوى الأصوات ومستوى البنى الإفرادية والتركيبية هو المبدأ والمنتهى، ولابد من أجل ذلك من تحديد معاييره بالاعتماد على ما تركه العلماء العرب الأولون من أوصاف دقيقة لهذه التأدية، وعلى التحليل لما تبقى من الأداء الفصيح العفوي في بعض اللهجات العربية الحديثة[3]. وهذا ما يعيد للغة العربية حيويتها وتماسها مع الحياة الطبيعية بجعلها لغة صالحة للتعبير عن جميع أحوال الخطاب الطبيعي، ويخلصها من اللغة المصنوعة أو المكتوبة التي حصرتها في اللغة الأدبية المحضة[4].

1– ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/185.

2– المرجع نفسه، ص/185.

3– ينظر: المرجع نفسه، ص/186.

4– الكفاية العلمية والتعليمية للنظرية الخليلية الحديثة، يحي بعطيش، "مقال"، مجلة التواصل، جامعة باجي مختار، عنابة– الجزائر، ع25، مارس 2010، ص/88.

– أنّ اللغة مستويات مختلفة من حيث تأديتها فقد بيّن المختصون في علم اللّسان أن الاستعمال اليومي يختلف – بعفوية وعدم تكلفه– عن الاستعمال المحصور في بعض الحالات (تلك التي تقتضي نوعان من الانقباض النفسي والفيزيولوجي) وأن اللغة المنطوقة أكثر عفوية من لغة التحرير[1]

– بمعنى أن استخدامنا للغة في حالاتها العادية يختلف عن استخدامها في حالاتها الخاصة، فالألفاظ الشائعة الجارية على ألسنة الناس هي غير الألفاظ الكامنة التي تخص الجانب التحريري فقط.

ثم ينتقل الأستاذ إلى ذكر عناصر وأوصاف عملية الخطاب يقول: "لعملية الخطاب عناصر وأوصاف معينة ضبطت في عصرنا الحاضر بمقاييس وقوانين ومجموع هذه القوانين يُكوّن ما يسمى بنظرية الإفادة أو التبليغ (***Communication or information theory***) وبالاعتماد على ما أتت به من مفاهيم جديدة حول الإفادة والإعلام يستطيع اللساني أن يقيس بدقة نجاعة اللغة المستعملة (في التعليم والإعلام وغيرهما) من حيث قدرتها على التبليغ والإفادة، وهي جد مهمة لاتساع مجال تطبيقاتها واستجاباتها لمقتضيات التبليغ بمفهومه الواسع، بحيث تدخل فيه كل أنواع الخطاب المنطوق وغير المنطوق، اللغوي وغير اللغوي"[2].

علما أنّه لا ينحصر غير المنطوق في الكتابة بل هناك أنظمة من الرموز تقوم مقام الأصوات اللغوية وحروف الكتابة العادية التي هي بديل منها، وذلك مثل نظام المورس ونظام الإشارات التي تستعمل في خطاب الصم والبكم، وكذا التراجم والمعميات التي يستعملها الجيش والمخبرون السريون وجميع المواصفات (أو الأوضاع) التي هي بديل من الرموز اللغوية، وأما غير اللغوي فيشمل كل الأوضاع التبليغية التي ليست ترجمة للرموز اللغوية وذلك مثل الأنظمة التي يتواضع عليها في الإشهار

1– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/186.

2– المرجع نفسه ، ص/187.

ووسائل التبصير السمعي البصري بصفة عامة وفي ترقيم السيارات وأجهزة الهاتف وتصنيف الكتب والمنشورات ورسم الخرائط، وغيرها من أصناف الأشياء المبتذلة[1].

ب- اللسان ظاهرة اجتماعية :ومعنى ذلك أن اللسان غير مرتبط بالفرد كفرد بل هو مجموع من الأدلة يتواضع عليه المستعملون، وهو ما كان يسميه علماؤنا بالوضع، ويقابله الاستعمال[2].

ومعنى ذلك عند "خولة طالب الإبراهيمي" أن اللسان ظاهرة اجتماعية ذهنية هي الوضع الذي تم الاصطلاح عليه في مجتمع من المجتمعات و يقابله الكلام و التأدية الفردية أو الجماعية للسان وخاضع لعوامل عدة اجتماعية ونفسية وتاريخية إلى غير ذلك من العوامل المؤثرة [3].

كما يبرز "الحاج صالح" دور الوضع في عملية التبليغ قائلا: "والوضع يرثه الخلف عن السلف، و به تتمكن الأفراد من التفاهم وبيان أغراضهم بعضهم لبعض، ولا تبليغ ولا إفادة يمكن أن يحصلا إلاّ بوضع لأنه شيء مشترك بين الأفراد في زمان معين ومكان معين وقد يطول هذا الزمان، ويتسع هذا المكان حتى يشملا القرون العديدة والأجيال المتعاقبة والأرجاء والواسعة، أما استعمال هذا الوضع أو كيفية أدائه في الخطاب فهذا راجع إلى الفرد، ويجوز أن لا يشترك في هذا الأداء شخصان اثنان[4].

أي أنّ اللسان لا يخضع لإرادة الفرد وليوله الخاصة به، بل هو متجاوز له سابق عليه باق بعده لا يزول بزواله، ولهذا لا يمكن لأي واحد كفرد أن يتدخل فيه فيغيره أو يستبدل فيه شيئا إلّا أن يقيس على الكلام الجماعة من المتكلمين السليقيين وأن يكون ما يقيس عليه من كلام شائعا مشهورا، ولا يقيس على الشاذ...

1- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/187.

2- المرجع نفسه، ص/188.

3 – مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الابراهيمي، ص/12.

4- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/188.

ج- لكل لسان خصائص من حيث الصورة والمادة: يشير "الحاج صالح "إلى أنّ "العلاقة بين الدال والمدلول في كل لسان دلالة اعتباطية". وهذه الاعتباطية لا تنحصر في تلك العلاقة بل تشمل أيضا المقاييس الجزئية التي تنتظم عليها جميع وحدات اللسان، ولذلك لا يختلف النظام الصوتي و الإفرادي والتركيبي من لغة إلى أخرى كما يختلف مضمونها المادي (واللفظي والمعنوي سواء في ذلك)، وهذا لا ينطبق إلاّ على الصفات الذاتية التي تختص بها لغة دون غيرها لأن ما يمكن أن نشترك فيه في جميع اللغات من الصفات العامة الوجود فحاصل لا محالة و بها يتميز اللسان البشري وظواهر التبليغ بصفة عامة عن الظواهر الأخرى[1].

ويترتب عن ذلك أن المفاهيم التي تتحدد كاياناتها بالألفاظ في لسان ما ليست مطابقة بالضرورة للمفاهيم التي تحددها لغة أخرى.

وبحسب اعتقادنا هنا تدخل صفة اللسان المتمثلة في التقطيع المزدوج الذي يعتبر الميزة الأساسية لكل الألسنة البشرية، وتذكر" خولة طالب الإبراهيمي" "أن الألسنية البشرية تتقطع إلى مستويين: المستوى الأول هو مستوى القطع الدالة على معنى .أما المستوى الثاني فهو مستوى القطع غير الدالة على معنى"[2].

إضافة إلى أنّ هناك مفاهيم تتحدد ماهيتها في أذهان أكثر الناس وتشترك في تصورها أكثر الأمم في وقت معين وذلك كزماننا، حيث كثرت الوسائل لنقل المعلومات وزاد الاتصال الثقافي بين أكثر الشعوب وخصوصا المفاهيم العلمية والفنية وبعض المفاهيم الحضارية العامة الوجود، فتلك هي التي ينبغي أن تعرب ويوضع لها لفظ واحد وإن لم يوجد بعد، ويترك الباقي من المعاني والتصورات الخاصة بأمة معينة أو يترجم بعبارة كاملة إن اقتضى الحال، والمقصود هاهنا هو أن تتلاقى الأمة العربية

1- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/190.

2- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، ص/23.

مسح شخصيتها بإدخالها في لغتها ومجموع مفاهيمها ما ليس له طابع عالمي وشهرة تتجاوز الشعب الواحد[1].

ولعل أوضح مثال لذلك هو أن يؤخذ مؤلفو المعاجم معجما بلغة واحدة ويحاولوا أن يعرّب بلفظ واحد كل ما جاء فيه وهذا قد حصل بالفعل بالنسبة للقاموس الفرنسي المعروف باللاروس الصغير.

د- **اللسان هو في حد ذاته نظام من الأدلة المتواضع عليها:** يوضح "الحاج صالح" هذا بقوله: "اللسان هو في حد ذاته نظام من الأدلة المتواضع عليها، فاللسان على هذا ليس فقط مجموعة من الألفاظ يعثر عليها المتعلم في القواميس أو يلتقطها بسمعه من الخطابات ثم يسجلها في حافظته، كما أنه ليس مجموعة من التحديدات الفلسفية للاسم والفعل والحرف أو القواعد المسهبة الكثيرة الشواذ، بل نظام من الوحدات يتداخل بعضها في بعض على شكل عجيب وتتقابل فيها بناها في المستوى الواحد، التقابل الذي لولاه لما كانت هناك دلالة، فللحروف التي تتركب منها الكلم نظام خاص بها – وهي أصغر أجزاء الكلام- ووظيفة هذا النظام هو التمييز بين الكلم، ومن ثم بين المعاني الإفرادية، وله إحداثيات (...) وهي مخارج الحروف وصفاتها"[2].

وتتركب الحروف في وحدات أخرى حسب مقاييس وقوانين مضبوطة لتكوّن الدوال" أو العناصر الدالة وهي أربعة: أولا: المادة الأصلية المتكونة من حروف المعجم مثل "ض، ر، ب"، ثانيا: الوزن والصيغة: المتمثلة في القوالب التي تفرغ فيها المواد الأصلية[3]، والأصل والوزن أو الصيغة على حد تعبير "الحاج صالح" مجردان لا يحدثان في الكلام إلا مندمجين، ويتكون منهما هذا النوع من الكلم

1- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/190.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص/191.

3- أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، بشر إبرير "مقال"، ص/13.

التي هي الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة، وثالثا حروف المعاني وهي جملة الأدوات التي تدخل على الاسم والفعل فتعطيها معنى إضافيا غير المعنى الأصلي لهما.

وقد عرّفها الأستاذ بقوله: "أنها كلمة محسوسة بنيت بناء لازما ووظيفتها تخصيص دلالة الأسماء والأفعال المذكورة وقد يقوم بعضها مقام الأسماء، إلا أنها تبقى بناء لازما كالأدوات الأخرى، وذلك مثل الضمير واسم الإشارة واسم الموصول وغيرها"[1].

أما الدال الرابع فتذكره "خولة طالب الإبراهيمي" على أنه العلامة العدمية أو ترك العلامة كما يسميها العرب القدماء ويتمثل في غياب اللفظ الدال فيما يحقق من الكلام وتتجلى عند مقابلة القطع اللغوية بعضها ببعض من الأمثلة التالية: طويل (للمذكر)،كتبتُ (للمتكلم) طويلة (للتأنيث)، كتبَ (للغائب)[2].

إذن العلامة العدمية تعني أن الكلمة موجودة بمعناها ولكنها مختفية غائبة في مظهرها اللفظي المحسوس ويظهر ذلك عند مقابلتها بغيرها.

وينتقل "الحاج صالح "إلى مستوى التحليل الخاص باللفظة الذي ينتظم انتظاما معقدا، يرى "إن الكلم لا تنتظم في الكلام على مثل الانتظام البسيط الذي يتصوره بعض اللسانيين الغربيين، وأكثر النحاة المتأخرين فإن الوحدات في هذا المستوى ليست هي الكلم مجردة من لوازمها، بل هي وحدات يندمج فيها الاسم والفعل مع ما يقترن به لزوما من أدوات مخصصة له وغير ثابتة (على صورة "دخول" و "خروج" يسمى عند نحاتنا بالتعاقب)، بل ومن وحدات مماثلة (أي من جنسها ومستواها) تخصصها على مثل ما تفعله الأدوات إذ تقوم مقامها وتؤدي ما تؤديه، وذلك مثل

1– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/191.

2– مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، ص/96.

المضاف إليه والتركيب المسمى بالصلة والموصول والصفات وحتى الأبنية المسماة (من حيث الإفادة فقط) جملا"[1].

وعلى هذا الأساس فإن عبارات: رجُل- الرجُل - رجُل الغدِ- بِالرَجُل- مع الرجُل- الرجل الذي قام أبوه أمس في الصباح الباكر تعد بمنزلة الكلمة الواحدة.

ومن هنا اقترح "الحاج صالح" على علماء اللسانيين الغربيين أن تسمى (lexie) لفقدان هذا المفهوم عندهم تكون اللفظة بهذا عبارة عن مجموعة من الكلمات كالاسم الواحد أو بمنزلة الاسم الواحد[2].

هـ- للسان منطقه الخاص به: نجد "الحاج صالح "يشير في هذا الشأن أن " للسان منطقه الخاص به، وليس من قبيل المنطق العقلي، لأن منطق اللسان مستنبط من الواقع والأحداث المشاهدة، وهو مجموع الأصول والحدود التي يخضع لها الاستعمال اللغوي السليم، فهذه الأصول هي في حد ذاتها قوانين تجريبية لا عقلية، ولا يوجد أية مناسبة بينها وبين قوانين الفكر، إنما ائتلافها وانسجام بعضها ببعض هو الذي يناسب هذه القوانين ويخضع لبديهيات العقل، وإن كان الفكر يحتاج إلى اللغة لأنها الأداة التي يحلل بها الواقع الفيزيائي والنفساني، إلا أن اللغة أدلة وضعية أما الأدلة العقلية فغير وضعية"[3].

1- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/192.

2- المرجع نفسه، ص/192.

3-المرجع نفسه ، ص/193.

ويضيف قائلا: أنّ الكلام الذي يتألف في أقل صوره – من مسند ومسند إليه– ليس بالضرورة حكما منطقيا، إذ هذا الحكم، وإن كان يتألف من طرفين (يسميان الموضوع والمحمول) مثل أقل ما يمكن أن يكون عليه الكلام، إلاّ انه خاص بما يصح أن يكون صدقا أو كذبا[1].

وهذا المستوى من التحليل يتعلق بالحديث أو الخطاب وهو أعلى ما يمكن أن يصل إليه التحليل، فقد كان للخليل وسيبويه والعلماء العرب الذين جاؤوا بعدهما نظرية لغوية متميزة فرقوا فيها بين النظرة إلى الكلام باعتباره خطابا والنظرة إليه باعتباره بنية، ومن أهم المبادئ التي بنيت عليه هذه النظرية التمييز الصارم في تحليلهم للغة بين جانبها الوظيفي وهو الإعلام والمخاطبة، أي تبليغ الأغراض المتبادلة بين متكلم ومخاطب وبين جانبها اللفظي الصوري؛ أي ما يخص اللفظ في ذاته وهيكله وصيغته بغض النظر عما يؤديه من وظيفة في الخطاب غير الدلالة اللفظية.

وقد استغلق هذا على الدارسين المعاصرين فأدى إلى كثير من الخلط وعدم التمييز في التحليل بين المستويين[2].

وقد ذكر "التواتي بن التواتي" في كتابه "المدارس اللسانية" أن ابن جني قد أشار إلى الضرر الذي يسببه هذا الخلط بين هذين المستويين من التحليل "فكل منهما يمتاز تحليله عن الآخر بمنهجية خاصة به ومبادئ وقوانين لا تمتُ بسبب إلى الجانب الآخر، فأكبر دليل على أن سلامة هذا التصور وفساد التخليط بين الجانبين هو عجز النحويين المتفلسفين عن تحديد مفهوم الاسم في مقابل الفعل والحرف فهناك أكثر من عشر تحديدات للاسم (...) والسبب في ذلك هو الخلط الذي ذكرناه" [3]

1– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/194.

2–أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، بشير إبرير "مقال"، ص/16.

3– المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، التواتي بن التواتي، ص/132–133.

ونجد الأستاذ "الحاج صالح" ينتقل في حديثه إلى "اللغة وإن كانت في صميمها واستعمالاتها غير خاضعة للمعايير المنطقية، فإنها على كل حال بنيان مرصوص، ولابد لكل بنيان محكم من انسجام وأقل ما يخضع له كل انسجام هو ألا تنتقض أوضاعه من حيث العقل، لأنّه إن وضع فيه لشيء لغرض، ووضع ما يناقض هذا الغرض زال الانسجام، بل كل ما سنه الله في هذه الدنيا من الظواهر فلابد أن يسلم في ظاهره أو في باطنه من التناقض، وإلّا ما أمكن أن يحصل أي علم من العلوم، ولذلك فلابد من البحث عن الحكمة العميقة التي تفسر وتعلل الظواهر وتزيل ما يبدو فيها من التناقض" [1].

كما يشير إلى أنّ هذا البحث وتلك التعليلات ليست هي اللغة في ذاتها واستعمالاتها إنما هو علم بكيفية حصولها، والعلم بحصول الشيء ليس هو الشيء في ذاته، فالمنطق غير الأرسطو طاليسي لا يمكن أن يستغني عنه في الحكم على كيفية حصول البنى وكيفية إجرائها في الاستعمال أي التحليل العلمي للغة، فالأحكام والمحاكمات و الاستدلالات (وهي مجموع عمليات النظر) التي تتناول القوانين الوضعية للسان هي التي يجب أن تخضع للمنطق العقلي لا القوانين الوضعية في ذاتها، وكل واحد منها على حدة إذ أنها علامات لازمة تستنبط من الواقع المشاهد لا بالاستدلال والنظر[2].

و- اللسان وضع واستعمال ثم لفظ ومعنى في كل من الوضع والاستعمال:

تجدر بنا الإشارة إلى أن فكرة الوضع والاستعمال تحيل على مرجعية في النظرية الخليلية الحديثة، قريبة من ثنائية القدرة والأداء في النظرية التوليدية التحويلية، حيث يعني الوضع على المستوى الأول، اللسان باعتباره وصفا علميا للنظام القواعدي الذي يتجسد به الكلام أو الخطاب، ويعني الاستعمال على المستوى الآخر، الكيفية العفوية التي يجري بها الناطقون الأصليون لهذا النظام في واقع

1- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/194.

2- المرجع نفسه، ص/194- 195.

الخطاب[1]؛ أي أن الوضع عبارة عن تخصيص؛ الشيء بالشيء بحيث إذا أطلق الأول فهم منه الثاني[2]، أما الاستعمال على حد تعبير "الحاج صالح" فهو كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب[3].

ونذكر هنا ابن جني الذي اشترط في المواضعة الوجود اللزومي للإبانة عن الأشياء، أي " وضع لكل واحد منها سمة ولفظا، إذا ذكر عرف به مسماه، ليمتاز عن غيره، وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره، لبلوغ الغرض في إبانة حاله"[4].

إذن الاستعمال عند "الحاج صالح" تنبني عليه أحوال التبليغ أما الوضع وإن كان القناة التي تربط المتكلم بالمتلقي، فهو خاضع لمتغيرات الاستعمال.

بعد هذا يشير الأستاذ إلى مفهوم القوانين، فالمتكلم عنده ككل فاعل يميل إلى التقليل من المجهود والاكتفاء عما يمكن الاستغناء عنه من الألفاظ، فيختزل ويختصر وإن بلغ به ذلك إلى الغموض لم يستفد المخاطب، ولذلك ينتهي تخفيفه لمجهوده حيث يبدأ الغموض، وقد يحدث تشويش يصاب به الخطاب (كالضجيج أو غفلة السامع أو عيب أصيب به المتكلم في نطقه وغير ذلك)، فيحتاج إلى مزيد من اللفظ[5].

1- الكفاية العلمية والتعليمية للنظرية الخليلية الحديثة، يحي بعطيش، ص/85.

2- المدارس اللسانية في العصر الحديث، التواتي بن التواتي، ص/94.

3- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/195.

4- الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، 1952، ج1، ص/44.

5- المرجع السابق، ص/196.

ز- البنى اللغوية مستوى من التحليل غير مستوى الوضع والاستعمال:

يشير" الحاج صالح" إلى أنّ "الوضع اللّغوي وضعان اثنان: اصطلاحي وبنوي، فأما الأول جعل اللفظ دليلا على المعنى قصد التواطؤ عليه بين قوم، أما الثاني فهو جعل الشيء على هيئة مخصوصة سواء كان دليلا على شيء آخر أم لا، و يرادفه البناء والتركيب[1].

بمعنى أن المستوى المتعلق بأبنية الكلام يبحث عن المثال المجرد الذي يبنى عليه أقل الكلام المركب وذلك يحمل كلام على آخر من جنسه، بمعنى أن الانطلاق في التحليل اللغوي يتم من أقل ما يمكن أن يتكلم به لكن فيما فوق اللفظة لاكتشاف البناء أو الأصل بل يتجاوز ذلك إلى مستوى أكثر تجريدا وهو مستوى العامل وهو العنصر اللغوي الذي يتحكم في التركيب فيعمل فيه الرفع والنصب فهو الذي يحدد العلامات الإعرابية في التركيب[2].

وتذكر "خولة طالب الإبراهيمي" أن "الحاج صالح" قد أوجز أبنية الكلام في اللغة العربية، حيث قال أن أصغر ما يبنى من الكلام يتكون دائما من عامل (ع) ومعمول أول (م1) ثم معمول ثاني (م2).

يكون العامل والمعمول الأول اللفظة المبني عليها التي يبتدئ بها الكلام أما المعمول الثاني فيشعل موضع اللفظة المبنية[3].

ثم نجد الأستاذ يشير إلى أن البنى اللغوية ليست لها دلالة إلا على شاكلة الرموز الرياضية، إضافة إلى كونها مبهمة، وهذا الإبهام كعامل من عوامل التجريد الرياضي، هو جد ضروري بالنسبة للدراسة العلمية للألسنية (بل لكل الظواهر)[4].

1- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/198.

2- أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، بشير إبرير، ص/15.

3- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، ص/113.

4- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/199.

وحوصلة لهذا المبحث فإن جهود "عبد الرحمن الحاج صالح"-رحمه الله- في مجال علم اللسان وصناعة تعليم اللغات قد تطرقت إلى موضوع المعلومات اللغوية وطرق تبليغها، ونجده يحصرها في نوعين هما:

معلومات مشعور بها في حيز الشعور كالقواعد والقوانين مثلا، ومعلومات لاشعورية تكسب بالرياضة والتدريب أو المران (التدريس).

كما يشير إلى طبيعة العلاقة بين علم اللسان وصناعة تعليم اللغات أو بعبارة أخرى: العلاقة بين الميدان النظري والميدان التطبيقي والتي يصفها بالجدلية، وينبه إلى الخطأ الفادح في الفصل بين هذين الجانبين، كما يدعوا إلى تضافر الجهود بين علماء اللسان، وعلماء التربية وعلماء النفس وحتى الأطباء المختصين في علم الأعصاب من أجل اكتشاف أسرار الأحداث اللغوية واستغلالها في مختلف ميادين الحياة.

أما حديثه عن القوانين اللسانية التي ينبغي للمربي أو مدرس العربية معرفتها فنجده يشير إلى ضرورة إلمام المدرس بما جدّ على صعيد البحث اللساني؛ أي الوقوف على قرن الحداثة بالاطلاع على كل ما هو جديد.

وفي الأخير تعرض لظواهر اللسان والتبليغ من منظور اللسانيات الحديثة، سواء كان ذلك في المستوى النظري أو التطبيقي ويذكر أهمها:

- اللسان أداة تبليغ.
- اللسان ظاهرة اجتماعية.
- لكل لسان خصائص من حيث الصورة والمادة.

- اللسان هو في حد ذاته نظام من الأدلة المتواضع عليها.
- للسان منطقه الخاص.
- اللسان وضع واستعمال ثم لفظ ومعنى في كل من الوضع والاستعمال.
- للبنى اللغوية مستوى من التحليل غير مستوى الوضع والاستعمال.

المبحث الثاني: تعليمية اللغات وإجراءاتها العملية:

وقد ابتدأ "الحاج صالح" حديثه في هذا المجال عن الشروط التي يجب توفرها في مدرس اللّغة، وهي ثلاثة حصرها في:

1- **الملكة اللّغوية الأصلية:** فهو يشترط في مدرس اللغة ضرورة اكتسابه للملكة اللغوية الأساسية التي سيكلف بإيصالها إلى تلامذته (والمفروض أن يكون قد تم ذلك قبل دخوله في طور التخصص)[1]

2- **أدنى كمية من المعلومات النظرية في اللسان:** (الإلمام بمجال بحثه): يرى الأستاذ أن المعلم لابد له أن يلم بما أثبتته اللسانيات العامة و اللسانيات العربية بالخصوص، حتى يحمل تصورا صحيحا للغة يساعده في ضبط تعليمها.

3- **ملكة تعليم اللغة:** إذ يقول أنّه ينبغي لمدرس اللّغة أن يستغل تخصصه في اكتساب ملكة كافية في تعليم اللغة وهذا يتطلب شرطين؛ الأول وهو أن يتقيد بالشرطين السابقين، والثاني استمراره في الاطلاع على آخر البحوث اللسانية والتربوية وتطبيقها بشكل مستمر[2].

وبما أن البحث العلمي – النظري والتطبيقي– لا يمكن أن ينقطع وينتهي فإن جميع المدرسين مجبرون – مبدئيا– على تطوير معلوماتهم النظرية والمنهجية بالاطلاع المتواصل على ما يوجد في صعيد البحث العلمي وتطبيقه بكيفية معقولة[3].

1– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/199.

2– الدرس اللسانس وخصائصه عند عبد الرحمن الحاج صالح، محمد الأمين هراكي، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة ،2012– 2013، ص/123.

3– المرجع السابق، هامش ،ص/200.

2-2/ المشاكل التي تعترض سبيل اللسانيات التربوية:

- **التعرف الموضوعي على المشاكل اللغوية التربوية:** أو بعبارة أخرى: ماذا يجب أن نعلّم من اللغة؟ وكيف يجب أن نعلّمه؟

وهنا نجد "الحاج صالح "ينبّه إلى ضرورة التمييز بين ثلاثة جوانب هي:

- النظر في محتوى اللغة التي تقدم للمتعلم.
- النظر في محتوى الطريقة أو الطرق التي تستعمل لتبليغ هذا المحتوى.
- النظر في تأدية المدرس لهذه الطرق وكيفية تطبيقها لها[1].

وفي هذا يرى "الشريف بوشحدان" في مقال له أن النظرة الضيقة للعربية وتعليمها وحصرها في مجال محدد من الاستعمال هي التي دفعته إلى أن يولي الجانب التعليمي أهمية كبيرة، إذ أنجز دراسات معمقة كثيرة، كشف فيها عن العيوب الحقيقية التي يعانيها تعليمنا للعربية، وتلك العيوب كانت كافية لتهميش العربية وتقليص مجال استعمالها، بل وإحلال العامية واللغات الأجنبية محلها ويمكن إجمالها فيما يلي[2]:

أ) **المادة اللغوية:** وهنا نجد الأستاذ "الحاج صالح "يطرح تساؤلات: ماذا يقدم الآن بالفعل في مدارسنا للمتعلم من مادة لغوية من حيث النوع ومن حيث الكم، وبالنسبة لكل مرحلة من مراحل التعليم، بالإضافة أيضا إلى مختلف مستويات اللغة، مفرداتها وتركيباتها وقواعدها؟ ثم ما هي الأشياء

1- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمان الحاج صالح، ص/200.

2- الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، الشريف بوشحدان، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر- بسكرة، ع7، جوان 2010، ص/29.

التي أخذها المتعلم من معلمه وهضمها بالفعل وأصبحت من مكتسباته، وما هي الأشياء التي اكتسبها من غيره؟[1]

إنّ أستاذ اللغة العربية لا يستطيع أن يعلم تلاميذه اللغة بصورة كاملة، وإنما لابد أن يختار العناصر والآليات اللغوية في مستوى معين من مستويات التعليم وذلك بالكيفية التالية:

أ/ ليس كل ما في اللغة من الألفاظ والتراكيب وما تدل عليه من المعاني يلائم الطفل أو المراهق في طور معين من أطوار ارتقائه ونموه.

ب/لا يحتاج المتعلم إلى كل ما هو ثابت في اللغة للتعبير عن أغراضه، بل تكفيه الألفاظ التي تدل على المفاهيم العادية وبعض المفاهيم العلمية والفنية والحضارية، مما تقتضيه الحياة العصرية.

ج/ لا يمكن للمتعلم أن يتجاوز أثناء دراسته للغة في مرحلة معينة حدا أقصى من المفردات والتراكيب، بل وفي كل درس من الدروس التي يتلقاها ينبغي أن يكتفي فيه بكمية معينة، وإلا أصابته تخمة ذاكرية، بل حصر عقلي خطير قد يمنعه من مواصلة دراسته للغة[2].

بعد هذا ينتقل "الحاج صالح "إلى اطلاعنا على الحصيلة من المفردات التي تقدم للطفل في المدارس الابتدائية، حيث يقول :لقد أظهر لنا – معشر اللسانيين في المغرب العربي– عيوبا ونقائص في هذه الحصيلة لا يكاد يتصورها المربي، فمن حيث الكم: تقدم للطفل غالبا كمية كبيرة جدا من العناصر اللغوية لا يمكن بحال من الأحوال أن يأتي على جميعها، ولذلك تصيبه ما نسميه بالتخمة اللغوية وقد يكون ذلك سببا في توقف آليات الاستيعاب الذهني والامتثال، وهذا ما نلاحظه في تنوع المفردات في النص الواحد مع وجود صعوبات أخرى تخص غرابة التركيب بل غرابة المفاهيم، ومن

1– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/201.

2– المرجع نفسه، ص/203.

حيث الكم و الكيف، الكلمات التي يحاول المعلم تلقينها تكاد تشتمل على جميع الأبنية التي تعرفها العربية ونلاحظ ذلك أيضا في النص الواحد، وهذا يسبب تخمة أخرى في مستوى البنى[1].

ثم نجده قد لاحظ عيبا آخر خطيرا وهو عدم مطابقة المحتوى الإفرادي المقدم للطفل لحاجياته الحقيقية: فهناك مفاهيم حضارية لها علاقة بعصرنا الحاضر لا يجد الطفل ألفاظا عربية يعبر بها عنها.

ب) الجهل بكيفية تأدية اللغة العربية: يرى "الحاج صالح "أن معلمي اللغة العربية في زماننا ومنذ مئات السنين يحكمون على كثير من المفردات والتراكيب الفصيحة بالخطأ المجرد أنها موجودة في العامية، وهم في الواقع يجهلون حقيقة التخاطب اليومي الذي يتصف باختلاس الإعراب والحركات غير الموقوف عليها واختزال الحروف (المشاكلة والتقريب)[2].

وبذلك أصبح مدرس اللغة شيئا فشيئا مقتنعا بأن كل ما هو مستعمل في العامية فهو خطأ في العربية الفصحى حتى ليحكم على الكثير من المفردات والتراكيب الفصيحة أنها عامية محضة، وهذا وَهم قد عم المشرق والمغرب منذ زمان بعيد[3].

2-3/ اختيار المادة اللغوية:

يرى "الحاج صالح" إنّ لاختيار الألفاظ والتراكيب التي يجب إكسابها للمتعلم في مرحلة معينة من تعليمه جانبين متكاملين: الجانب الأول يخص المربي، والثاني يخص في نفس الوقت المربي واللساني.

1- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمان الحاج صالح ، ص/205.

2- الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، الشريف بوشحدان، "مقال"، ص/32.

3- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/75.

1- فيما يخص المربي:

يقول "أنه على المربي أن يقوم بإحصاء المفاهيم التي يحتاج إليها المتعلم في مرحلة ما وتحديدها تحديدا علميا، ثم المقارنة بين هذه الشبكة من المفاهيم و بين ما يعرض بالفعل على المتعلم في الكتب ،و شتى المواد الدراسية لتنميته واكتشاف نقائصه وثغراته من الوجهين النفساني الاجتماعي والتربوي"[1].

2- فيما يخص المربي واللساني معا:

وهنا يبرز الأستاذ دور كل من المربي واللساني في البحث عن مدى صلاحية الألفاظ المعروضة بالفعل في الدراسة، أو ما يقترحه المربون أو اللغويون لتغطية هذه الشبكة من المفاهيم، والذي يَهُمُّهُما جميعا هو هذا الجانب اللغوي النفساني الاجتماعي الذي ينبني عليه مصير اللفظ في الاستعمال وتتوقف عليه حيويته وذيوعه في جميع الأوساط، ويختص بهذا الجانب المظهر اللفظي للوحدة اللغوية ،وهو العنصر الدال بمختلف أجزائه ومجموع أوصافه الصورية والمادية.

ثم المظهر الدلالي له وهو المعنى المدلول عليه سواء كان ذلك الذي وضع له في الأصل أو مجموع المفاهيم التي يحددها مختلف سياقاته في الاستعمال (القديم والحديث)، مضافا إليه جميع العناصر المعنوية التي تندرج في مجاله الدلالي (***Somantic Fields***)، ثم المظهر الاستعمالي الاجتماعي للفظة ؛فكلما لزم على المربي الباحث في المادة اللغوية أن يختار بين لفظين أو أكثر، فلابد من أن يراعي هذه المظاهر الثلاثة، وتكون مراعاته لها بأن يسلط على اللفظ المقاييس التي استخرجها علماء اللسان بالمشاهدة والتصفح والإحصاء[2].

1- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/207.

2- المرجع نفسه، ص/207.

- **معايير اختيار المادة اللغوية**: ونُبيِّنُها في الجدول الآتي[1]:

مقاييس اختيار المادة اللغوية	
مظهر المادة اللغوية	شروطه
• المظهر اللفظي	– عدم تنافر مخارج الحروف داخل الكلمة. – فيما يخص الصيغة فيفضل اختيار الأكثر أنسا والكثيرة التداول(تفعل بدلا من تفعال أو فعال)، والتي يمكن أن تتصرف ويشتق منها غيرها.
• المظهر الدلالي	– اللفظ الدّال على مفهوم شائع بين الأمم، والاكتفاء باللفظ الواحد وترك الترادف. – تخصيص اللفظ لكل تعبير موضوعي(فلكل من لغة العلم ولغة الإعلام وغيرهما) سياق معين.
• المظهر النفساني الاجتماعي (خاص بالاستعمال)	– تفضل اللفظة الفصيحة الشائعة في جميع الأوساط العربية. – تفضل الكلمة أو الصيغة الشائعة قديما إذا لم يوجد البديل الآتي الذي يعبر عن المعنى المقصود. – تفضل الكلمة المتفق عليها في لغة التحرير عند أكثر الدول العربية. – تفضل الكلمة غير المحظورة ويعني غير الفاحشة أو المتشائمة.

1– أثر اللسانيات في النهوض بمستوي مدرسي اللغة العربية، نقلا عن: الدرس اللساني وخصائصه عند عبد الرحمن الحاج صالح محمد الأمين الهراكي، ص/55– 56.

هذا ويرى الأستاذ أن هذه المقاييس قد يقع فيها تباين أو تضارب، مما يستدعي ترتيبها لمعرفة أهمية كل واحد منها، وفق معايير هي عدم اللبس على قدر الإمكان ثم كثرة الاستعمال، وأخيرا اعتدال المخارج وخفتها على اللسان، وبالتالي فترتيب المقاييس يأتي فيه المعيار الدلالي أولا ثم الاستعمالي ثم اللفظي.

ويورد هذه المعايير والمقاييس مرتبة من حيث أهميتها موجزة فيما يلي:

1- عدم اللبس على قدر الإمكان في الألفاظ التي تخصص للتعبير العلمي التحليلي، أي عدم الاشتراك في المدلولات.

2- كثرة الاستعمال في لغة التخاطب أي شيوع اللفظة الفصيحة (أو ما يمكن رده إلى الأصل) بمعنى من المعاني في جميع الأوساط العربية أو أكثرها أو في لغة التحرير المعاصرة أو في التراث العربي إن لم يوجد في الاستعمال الحالي ما يسد مسدها.

3- اعتدال المخارج وخفتها على اللسان: يتخذ هذا كمقياس إذا لوحظ أن الكلمتين (أو أكثر من كلمتين) غير جاريتين في الاستعمال المنطوق وقليلة الذيوع[1].

2-4- البحث في محتوى طرق تبليغ المعلومات وكيفية إكساب المتعلم الملكة اللسانية الكافية:

يرى "الحاج صالح "أن للبحث في طرق تدريس اللغات ثلاثة موارد رئيسية يستمد منها علماء اللسان وعلماء النفس والتربية الذين يشاركونهم في موضوع بحثهم المعلومات الأساسية التي يحتاجون إليها لتحرير نظرياتهم ،وهذه الموارد تكمن في ثلاثة ميادين هي:

1- ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/212.

الميدان الأول: ينظر في كيفية اكتساب الطفل للغة آبائه ومحيطه ثم ارتقاء هذه المهارة عنده ونموها وكذلك كيفية اكتسابه هو أو الراشد للغة ثانية غير اللغة الأم[1].

الميدان الثاني: يصطلح عليه عند "الحاج صالح "بعلم اللسان المرضي، وهو خاص بآفات التعبير كأنواع الحبسة والحكلة* وغيرها من العاهات التي قد تصيب الإنسان في قدرته على التعبير أو على فهم وإدراك ما يبلغه من الخطابات المنطوقة والمكتوبة.

الميدان الثالث: تربوي لغوي يعنى بإجراء التجارب التربوية في عين المكان فيختبر على أسس علمية الطرق المختلفة الخاصة بتدريس اللغة[2].

ويرى" الشريف بوشحدان" في مقال له أنّ هذه الميادين يكمل بعضها بعضا لأن البحث فيها يلتقي عند مصب واحد هو الاستعمال الفعلي للغة العربية الفصحى، وهي تلك التي تتصف بالخفة والاقتصاد وتكون أداة حية في التخاطب اليومي والتواصل العلمي، ومن هنا كان الاستعمال الفعلي للغة عند "الحاج صالح" هو الخيط الممتد بين ميادين البحث اللساني الواصل بين أجزائه، والجامع لعناصر المختلفة، لذلك فإن البحث الموضوعي الشامل في نظره يقتضي عدم الفصل بين هذه الميادين[3].

1–ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/214.

*** الحبسة أو الأفازيا (Aphasie) مصطلح يوناني الأصل، أحد الأمراض النطقية التي تفقد القدرة على التعبير الشفهي أو الكتابي، أو عدم القدرة على فهم الأصوات المنطوقة، أو معرفة مسميات الأشياء وغير ذلك، مصطفى فهمي، أمراض الكلام، دار مصر للطباعة ط5، ص/63. أما الحكلة فقد قال ثابت: وفي اللسان الحكلة، وهي كالعجمة تكون فيه، لا يبين صاحبه الكلام، ويقال في لسانه حُكْلَةٌ، وعُجمةٌ وغُتْمةٌ والأغتم والأبهم والأعجم واحد، أبي محمد ثابت بن أبي ثابت، خلق الانسان، تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1985، ص/182– 183.**

2– ينظر: المرجع نفسه، ص/214.

3– الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية اللغة العربية، الشريف بوشحدان، "مقال"، ص/34.

وتجدر الإشارة إلى أن "الحاج صالح "قد تناول مسألة اكتساب اللغة في مواضع متعددة، في سياق حديثه عن الأصوات اللغوية، وعن نشأة الكلام، وعن اكتساب الدلالة وكيفية نموها، وكذا ما تثيره الأصوات من دلالات في الأذهان(...) الخ، وكيفية اكتساب المتعلم الملكة اللغوية الكافية – حسب رأيه– تتحدد وفقا لمجالين هما:

المجال الأول: كيفية اقتناء الإنسان للملكة اللغوية: وبخاصة الطفل والمراهق فقد يمر الطفل من وجهة نظره بمراحل ثلاث لاكتساب اللغة وهذه المراحل هي: الصراخ، ثم المناغاة، ثم البناء أو البنية.

يقول: "إنّ أول ما يحاول الطفل اكتسابه من العمليات الكلامية هو النطق بما تدركه أذنه من الأصوات اللغوية، وهذا يحصل بعد الأسبوع العاشر من ولادته تقريبا حيث كان قبل ذلك لا يلفظ ولا يقطع صوته بل يستهل فقط أي يسمع صراخا له علاقة بأحواله الجسمية"[1]

ثم نجده يشير إلى الأفعال المحكمة ويقصد بها السلوك اللاشعوري الذي يكون كالعادة عند صاحبه لا يتأمله ولا يفكر فيه، وأهمية المران والتكرار في هذا السلوك أنه ينشأ عنه ما يسميه علماء النفس (رد الفعل الدوري)وهذا بدوره ينشأ ما يعرف بالتصحيح الارتجاعي (***Feed– back***) وهذا الأخير هو أساس الاعتبار والأفعال المحكمة[2].

بعد هذا ينتقل إلى الحديث عن مرحلة المناغاة أو الإنغاء عند الطفل وعمره ما بين 15 و20 شهرا إلى غاية ثلاث سنوات تقريبا، يقول: "ويبدأ في هذه المرحلة بإحداث ألفاظ تتألف من حرفين متحركين فقط، وهي ألفاظ غير ثابتة في لغة الراشدين طبعا، بل هي في الحقيقة هدير، أكثر مما هي كلام، وتجري عنده مجرى الجمل المفيدة عند غيره، ثم يشرع بعد مدة في ضم هذه الكلمات أو

1– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/215.

2– المرجع نفسه، ص/115.

النغوات المتكونة من حرفين في مجموعات لا تتجاوز النغوتين في الغالب، وليس بينهما أي رابط من الروابط اللفظية ولا يدخل عليها أية أداة من الأدوات النحوية التي يستعملها الراشد وهي تجري عنده أيضا مجرى الجمل المفيدة"[1].

وذلك مثل: (زيزي ونني) مسموع عند الأطفال في المغرب العربي ومعناه: زينب (أو أي اسم آخر من هذا القبيل) تريد أن "تنام" أو " هي على وشك النوم" ونلاحظ أن الطفل يتكلم عن نفسه باسمه ولا يستعمل في أزل الأمر الضمائر لأنها أدوات إذ تقوم مقام الأسماء، فالجملة عنده لا يدخلها أبدا – في هذا السن– أية صياغة نحوية، كما أن "نغواته" ليس لها صيغ صرفية مثل صيغ الكلمات اللغوية الحقيقية فإنها تشبه ما يسميه نحاتنا بالأصوات ويدخل فيها الكثير من أسماء الأفعال، إذ أنها لم توضع وضعا[2].

ويشير إلى أن هذه المرحلة أي مرحلة الإنغاء والمناغاة عند الطفل تتصف "بانصهار الذات بالموضوع وبالتالي إبهامية الإدراك والحصول التدريجي على اللغة هو العامل الرئيسي في إزالة هذه الإبهامية الإدراكية الحركية (***Syncrétisme perceptif moteur***)"[3]، وهذا كله يخص التعبير.

ثم ينتقل إلى المرحلة الثالثة وهي مرحلة البناء أو البنية، حيث يرى فيها "أن الطفل يتفطّن شيئا فشيئا في أثناء نموه الفكري واللغوي إلى وجود علاقات من نوع آخر غير الدلالية وغير التقطيعية وهي العلاقات البنوية التي تربط بين الحروف وتنشأ منها الكلم، وتلك التي تربط الكلم فيما بينها فينشأ

1– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/216.

2– المرجع نفسه، هامش، ص/216.

3– المرجع نفسه، ص/216.

منها الكلام، ولا يحدث هذا منه إلاّ في الوقت الذي يصير فيه قادرا على التحليل والتمييز بين الذات وبين الأحوال التي يكون فيها"[1].

وهنا يقصد التمييز بين الذات والموضوع، وهذا لا يحدث إلاّ بين 30 و40 شهرا، وهكذا تدريجيا إلى غاية الاكتساب السريع جدا للكثير من الصيغ ومواضع الكلم وتحصيله لبعض الأدوات النحوية. وفي الوقت نفسه نراه يستبدل "نغواته" بالكلم الصحيحة (...) فالطفل في هذا الطور يكون ارتقاؤه اللغوي مزدوجا: نمو قدرته على استعمال الصياغة النحوية، ونمو مادته الإفرادية.

المجال الثاني: خاص بعاهات الكلام وسنقتصر في حديثنا على نوعين قد أشار إليهما أستاذنا "عبد الرحمن الحاج صالح" وهما:

1- الحبسة الحركية أو اللفظية:

لقد سمى "عبد الرحمن الحاج صالح "هذا النوع من الحبسة بالحصر "وذلك بسبب صعوبة كبيرة في إخراج الحروف أو الكلم"[2] ولهذه العاهة أسماء أخرى في اللغة مثل الفأفأة: أن يعسر خروج الكلام (فيحدث ترديد فاء العطف خاصة) والرثة: أن تكاد الكلمة تخرج من فم المصاب بها، وكذا اللفلفة والجلجلة وأخطرها العقلة وأخفها اللوث.

ويواصل حديثه عن الحصر يقول: "فإذا سلم المريض شيئا ما من هذا العمر كانت الصعوبة في إخراج الجمل، أي في تنظيمها وربطها وصياغتها، فالحصر اللفظي يصيب إذا كل واحد من

1- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/217.

2- المرجع نفسه، ص/220.

المستويات التركيبية التي ينتظم عليها الكلام: حصر في المخارج ثم حصر في ترتيبها، وبالتالي بناءها على كلم ثم ترتيبها مع لوازمها، ثم امتناع ترتيب هذه الوحدات وبناء بعضها على بعض"[1].

وبالتالي فهو فقد القدرة على الترتيب والتركيب لفقد المريض مهارته في استعمال المثال والأنماط الخاصة بإخراج الوحدات اللغوية في المستوى الأدنى أو الأقصى أو فيما بينهما، وتزيد على ذلك العجز عن الانتقال من أحدهما إلى الآخر؛ فيكون كلامه إما غمغمة مبهمة لا تفهم (مستوى الحروف)، وإما ثغثغة أو عفك (مستوى الكلم والألفاظ)، أو عسلطة (وهو الكلام الذي لا نظام له) وتسمى هذه العاهة في هذا المستوى بالمصابات (صابى الكلام: لم يقومه ولم يجره على وجهه).

2- الحبسة الحسية:

وقد سمى "الحاج صالح "هذا النوع من الحبسة بالهراء أو الخطل أو التَبَكُل، وهو اختزال في استعمال الوحدات اللغوية (في جميع المستويات أيضا) بحيث لا يستطيع المريض أن يميز بين العناصر التي تنتمي إلى المستوى الواحد، بل حتى بين هذه العناصر وبين الألفاظ التي لا وجود لها في اللغة، فهو يستبدل عنصرا بآخر باستمرار، ويكرر نفس المعنى بعبارات مختلفة أكثر عناصرها محدثة أو محولة عن أصلها، ومن ثم هذرمته و فجفجته أي كثرة كلامه مع فساده، ويمتاز هذا الداء عن السابق أيضا في فقد المريض لقدرة الإدراك والتشخيص للوحدات اللغوية التي يسمعها أو يحاول قراءتها ويسمى هذا بالعمى اللغوي أو الاستعجام (وهو صمم إدراكي – لا حسي- يصحبه عمى إدراكي بالنسبة للقراءة)، ولذلك لا يستطيع المريض أن يسمي الأشياء التي يشار له إليها، ولا يدرك معاني الألفاظ[2].

1-بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/220.

2- المرجع نفسه، ص/221.

ثم ينتقل إلى التأكيد على ضرورة إصلاح الملكة اللغوية وتنميتها لدى تلاميذ اللغة العربية، ويرى أن ذلك لا يتحقق إلاّ عن طريق التعليم، ويتم ذلك في حالة ميزنا فيها بين مرحلتين لتعليم اللغة العربية، أما المرحلة الأولى فيتم فيها "اكتساب الملكة اللغوية الأساسية"[1]، أي القدرة على التعبير السليم العفوي. ويتجنب في هذه المرحلة كل أنواع التعبير الفني الذي يستخدم الصور البيانية (وبالأحرى المحسنات البديعية).

أما المرحلة الثانية فيتم فيها اكتساب المهارة على التبليغ الفعال (الذي لا يتجاوز السلامة اللغوية) ولابد أن يكون المتعلم قد تمَّ – إلى حد بعيد– اكتسابه للملكة اللغوية الأساسية.

2–5/ التدرج في تعليم المادة اللغوية:

وفي هذا الصدد يقول "ابن خلدون": "اعلم أن تلقين العلم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان التدريج شيئا فشيئا قليلا فقليلا"[2].

ويرى "ميشال زكريا" أن التدرج هنا يقتضي اعتماد التركيب الذي يراعي السهولة والانتقال من العام إلى الخاص وتواتر المفردات[3].

أ– **السهولة:** ويعني بها عملية الانتقال من السهل إلى الأقل سهولة، هذا التدريج يُمكن المتعلم من اكتساب المهارات اللغوية* من مجموع عناصرها لأن سهولة التركيب تؤدي إلى سهولة الإدراك وحسن الاستيعاب؛ فالإدراك مرتبط بالقواعد والتحويلات الكامنة في التركيب.

1– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/225.

2– المقدمة، ابن خلدون، ص/1110.

3– مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية، لبنان، ط2، 1985، ص/17.

***المهارات اللغوية: الاستماع والكلام أو التحدث، والقراءة والكتابة.**

ب- **الانتقال من العام إلى الخاص:** وهذا المبدأ تعمل العملية التعليمية على تطبيقه في أية عملية تسعى إلى اكتساب المتعلم مهارة لغوية معينة، ولهذا يجب أن تدرس القاعدة العامة قبل الخاصة، وتدرس الألفاظ التي لها علاقة بموجودات محسوسة قبل الألفاظ التي لها علاقة بإحالات مجردة، والتراكيب البسيطة قبل المعقدة.

ج- **تواتر المفردات:** يعد هذا المبدأ أساسا أثناء وضع البرنامج التعليمي للغة معينة، فما لا مراء فيه ،هو أن الألفاظ التي تؤلف القائمة المعجمية للغة ما تختلف فيما بينها من حيث درجة تواترها، فهناك ألفاظ على حسب رأي "أحمد حساني "تتواتر في الأداء الفعلي للكلام بدرجة أكثر من سواها، وهي الألفاظ التي تنعت بالألفاظ الأساسية[1].

ثم نجد "عبد الرحمن الحاج صالح" ينتقل إلى مقاييس التبليغ التعليمي فهو يرى أن تعليم اللغة لا ينحصر فقط في إكساب المتعلم لآليات الكلام، بل لابد أن يراعي أيضا آليات الإدراك للعناصر اللغوية وفهم مدلولاتها. وعلى هذا فإن التبليغ التعليمي يتناول أربعة أنواع من الآليات اللغوية وهي الآليات التي تحصلها القدرة على الإدراك والفهم في مستوى المنطوق المسموع (السماع) وفي مستوى المكتوب المحرر (القراءة) ثم الآليات التي تتحصل بالقدرة على التعبير في هذين المستويين أيضا (التعبير الشفاهي والتعبير الكتابي)[2].

ويشير" الحاج صالح" في هذا الجانب إلى أسبقية المشافهة- بالنسبة للتلاميذ- على القراءة والكتابة، ويحصر مهمة المعلم أو الأستاذ في إيصال ذوات العناصر مشافهة لا كتابة، وأن يجعل تلامذته بهذه المشافهة المتكررة يميزون بالسماع وحده بين هذين هذا الحرف وذاك وبين هذه الصيغة الإفرادية والتركيبية وتلك[3].

1- دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2000، ص/145.

2- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبدالرحمن الحاج صالح،ص/229.

3- المرجع نفسه، ص/229.

وقد أقّر" ابن خلدون" أيضا بأهمية السماع في حصول الملكة اللغوية، فأبو الملكات اللسانية – في نظره– هو السمع والإنصات والشيء الذي يعين المتعلم على فتق لسانه بالمحاورة والكلام. ويؤكد ابن خلدون على أهمية التكرار مع الإشارة إلى فاعلية السماع وضرورة سبقه، لذلك يجب أن يلتزم معلمو اللغة العربية باللغة الفصحى في كل المواد المقررة في المراحل التعليمية، وذلك لترسيخ مفردات اللسان العربي في أسماعهم وتعويدهم على التحدث بها، وأن لا يسمح للتلميذ الحديث بغيرها فإذا التزم المعلم بهذا الأمر، وخلق الجو الفصيح، فسوف يتعود التلميذ على نطق الفصحى ويألفها لسانه وتصبح لديه ملكة وصفة راسخة[1].

كذلك يشترط "عبد الرحمن الحاج صالح "في عملية التبليغ أسبقية الإدراك على التعبير[2]؛ أي أن يكون الإيصال لذوات العناصر مصحوبا بما يوضح معانيها من وسائل التبصير (ولا يلجأ في هذا أبدا إلى الشرح والتحديد مهما كان)، وذلك مثل الإشارة إلى الأشياء والأفعال التي تقتضيها هذه المعاني أو ما يقوم مقامها مثل الصور المبسطة ومختلف الرسوم الدالة على معاني تلك العناصر(...) وتكون هذه المشافهة على شكل جمل يربطها موضوع واحد يندمج بدوره في مجال معين من المفاهيم (التي خططت لهذا الغرض)، وتتخذ هذه الجمل شكل حديث أو قصة أو وصف أو تعليق على أحداث مرئية[3].

ويشير "عبد الرحمن الحاج صالح" إلى أن المرحلة الأولى للدرس تخصص للإدراك فقط (السمعي البصري) وبعد ذلك تجيء مرحلة التحقيق لهذا الإدراك اللفظي الدلالي[4].

1– رؤية منهجية لمستقبل العملية التعليمية في الجزائر، فاطمة الزهراء بغداد، "مقال" كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري– تيزي وزو، ديسمبر 2010، ص/339.

2– ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/229.

3– ينظر: المرجع نفسه ، ص/229.

4– المرجع نفسه، ص/229.

وقد أقر "بكار امحمد" أنه أثناء القيام بعرض المادة وتوضيحها، يجب أن يحرص أستاذ اللغة كل الحرص على التأكد من مدى متابعة المتعلمين على المستوى السمعي والبصري معا، لأن دور المتعلم في هذا الموقف التعليمي هو أن يقوم أولا بدور المشاهد والمستمع، ثم بعد ذلك يقوم بدور المقلد للخطوات التي قام بها الأستاذ، فيشغل المتعلم حينئذ حاستي السمع والبصر، لأنهما عنصران أساسيان في عملية الإدراك والاستيعاب، فيسمع المتعلم ويكرر ما يسمع حتى تتكون لديه عادة لغوية، وقد يعي ذلك جيدا حينما تكون التراكيب اللغوية مصحوبة بالصور التوضيحية[1].

وتحدث "الحاج صالح "عن مرحلة التعبير الفني ورأى أنه أيضا تنطبق عليه أسبقية المشافهة ومبدأ التسلسل المنطقي للموضوعات المطروقة. هذا ولا يمكن أن يستغني تماما عن كل تبصير وتمثيل بالصور والأفلام لا لتوضيح العناصر الدالة في ذاتها، بل لبيان علاقتها بمقتضى الحال، ومن ثم الترسيخ في ذهنه للنسبة القائمة بين هذه الحال وما تقتضيه من أغراض، وبين مختلف طرق الأداء المستعملة في التعبير عنها[2].

وهذا يعني أنه لابد من أن يستغل المدرس في توجيه المتعلم .وهذا ما أثبته علماؤنا قديما في هذا القسم الهام المسمى بعلم المعاني.

ثم ينتقل "الحاج صالح" إلى الحديث عن العمل الترسيخي ودوره في اكتساب الملكة اللغوية، ويربط هذا الأخير بما تسمعه الأذن وما تبصره العين من الأحوال التي يتعلق بها هذا الخطاب، ومن ما يدركه العقل من العلاقة بين اللفظ والمعنى مادة وصورة(...) فأول مقياس يجب أن يعتمد عليه في العمل الترسيخي هو أن يُعوّدَ المتعلم على وصل عمله التعبيري بما تدركه الأذن في مستوى الأداء

1– محاضرات في اللسانيات التطبيقية للسنة الثانية، بكار امحمد، الارسال الثالث، السنة الجامعية 2006/ 2007، بوزريعة– الجزائر، ص/16.

2– بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/230.

للأصوات والمباني وذلك لتحصيل المراقبة الذاتية بكيفية آلية؛ أي بإحداث تصحيح ارتجاعي مستمر، ولهذا علاقة بالتصحيح الفوري للأخطاء (من قبل المعلم) وهو مفيد جدا لأنه يمنع ظاهرة التكيف أن تلعب دورها في ترسيخ الأفعال المكتسبة[1].

كذلك نجده يشترط في التدريب باعتباره أهم أدوات الترسيخ أن يجري على النحو التالي:

- يدرب المتعلم على التصرف في البنى الجديدة التي لم ترسخ بعد في استعماله بمواد إفرادية معروفة لديه(إما أن تكون موجودة بالفعل في لهجة بخلاف يسير، وإما أن لا توجد فيها إلا أنّه اكتسبها في دروس سابقة) (تحويل الصيغة على مادة معروفة).
- يدرب على العكس من ذلك التصرف في المواد الإفرادية الجديدة التي لم يتعود بعد على استعمالها بصياغة كل واحدة منها على الصيغ التي يعرفها، وهذا لا يخص صيغ المفردة فقط بل يشتمل أيضا المباني التركيبية (تحويل المادة على صيغة معروفة)[2].

وهذا ما يجعل التلميذ أو المتعلم يسلم من الحصر اللفظي والعّي –على حد تعبير الحاج صالح– ونحن أيضا نعتقد كما ينص جمهور اللسانيين المعاصرين أن جوهر تعليم اللغة إنما يتمثل في عملية التدريب والمران المستمر والمنظم الذي ينتقل فيه المتعلم من نموذج لغوي إلى آخر غيره وهكذا حتى يأتي على أشهر النماذج والأمثلة فيكون قد ملك ناصية هذه اللغة، ويحدث منه ذلك دونما شعور منه في واقع الأمر[3].

كما يجدر بنا أن نشير إلى أنّ الأستاذ قد نبّه المربين إلى أن القواعد النحوية المحررة العلم النظري– من أنجع الطرق التربوية لتحصيلها، هي التي تقدم معلوماته وقوانينه على شكل رسوم بيانية

1– ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/232.

2– المرجع نفسه، ص/233.

3– ينظر: المرجع نفسه، ص/236.

بسيطة يشار فيها إلى العلاقات والعمليات بالرموز(وعددها قليل جدا)[1]، مثل : علامة التقديم والتأخير: > و<وعلامة الاستلزام: ⟵وعلامة الطرد والعكس ⟷أو التكافؤ البنوي⟷وغير ذلك.

ثم نجده يشير إلى أنواع العمل الترسيخي ويحصره في ثلاثة أجناس هي:

1/ **التمارين التواصلية (الحكاية المكررة):** حيث يرى أن التبليغ التعليمي وكذلك عمليات الترسيخ يتناول أربعة أنواع من الآليات اللغوية وهي الآليات التي تحصلها القدرة على الإدراك والفهم " في مستوى المنطوق المسموع (السماع) وفي مستوى المكتوب المحرر (القراءة) ثم الآليات التي تتحصل بالقدرة على التعبير في هذين المستويين أيضا (التعبير الشفهي والتعبير الكتابي)"[2].

2/ التمارين التحليلية التركيبية: ونجد "الحاج صالح "يقول: "أما وسائل الترسيخ التحليلية والتركيبية فهي مفيدة جدا بشرط أن تبرمج البرمجة الدقيقة وتنسق حسب ما يقتضيه التخطيط العام للدراسة"[3]، وسميت بذلك لكونها: تتميز بالطابع التحليلي المتمثل في (عيّن، بيّن، وضح، استخرج، أعرب، أشكل). والطابع التركيبي المتمثل في (أكمل، املأ الفراغ، اربط، كون... الخ).

3/ التمارين البنوية: *Exercices Structuraux /Structural Drilles*

وعرفها "الحاج صالح" على أنها "التدريب على التصرف العفوي في بنى اللغة"[4] ؛أي أنها تكسب المتعلم القدرة على التصرف في البنى بالتدريب المتواصل وعرّفها أيضا بقوله: "هي التمارين

1- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/236.

2- المرجع نفسه، ص/229.

3- المرجع نفسه، ص/238.

4- المرجع نفسه، ص/238

التي تعتمد على استبدال شيء بشيء آخر، أو تقديم شيء على شيء، أو تحويله بأي طريقة كانت، وهو جد مفيد في اكتساب هذه الآليات"[1]. كما أورد لهذه التمارين أنواع وهي:

- التمرين التكراري: اصطلح عليه- عند الحاج صالح- بالحكاية المجردة، ويعده "صالح بلعيد" المدخل لأنواع التمارين متدرجة في الصعوبة والتعقيد[2].
- تمرين الاستبدال الساذج: وهو الذي يخص الموضع الواحد من الصيغة.
- الاستبدال المتعدد المواضع: وهو تغيير للمادة في عدة مواضع وعلى التوالي[3].
- استبدال بالزيادة أو الحذف: ونعني به تثبيت العناصر المكتسبة (لفظا ومعنى) مع تثبيت العناصر الجديدة وبصفة خاصة البنية الجديدة[4].
- تمارين التصريف والتحويل البنوي: يرى "صالح بلعيد" أنه يعمل على إكساب التلميذ القدرة في التصرف في البنى، وتقوم هذه التمارين على التقابل[5].

بينما يعتبر "الحاج صالح ""جوهر التمارين الجارية على البنية، لأنه تدريب على تغيير صيغة القبيل الواحد من العناصر في داخل الوحدة اللغوية دون زيادة (ولا حذف) على هذه الوحدة، (أو بزيادة أو حذف ؛ أي بمزج التحويل بالنوع الرابع)، فهو تغيير لصيغة هذا القبيل لا لمادته (لا تستبدل كلمة بأخرى في نفس الموضع)، بل تفرع الفروع البنوية من الأصل الواحد"[6].

1- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/186.

2- دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد، دار الهومة، الجزائر، ط3، 2000، ص/35.

3- المرجع السابق، ص/240.

4- المرجع نفسه، ص/240.

5- دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد، ص/38.

6- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص/240.

ومثال ذلك: ما علِمتُ متَى خَرجَ، لا أَعْلمُ متى يَخْرجُ (المثير: مَا سَألتُ متى سافَرَ)، ما أسْألُ متى يُسافِر (المثير: ما تذكرْتُ متى رجع) لا أتذكر متى يرجِعُ... وهذا رجل من مكة، هذا مكي الأصل (المثير: هذا رجل من المدينة).

وصفوة القول فإن الآراء التي جاء بها "عبد الرحمن الحاج صالح"-رحمه الله- في مجال تعليمية اللغات وإجراءاتها العملية وكيفية اكتسابها انطلقت من مبدأ أن مدرس اللغة ينبغي أن تتوفر فيه شروط هي: اكتسابه الملكة اللغوية، والإلمام بمجال بحثه، وكذا اكتسابه الملكة اللغوية الكافية في ميدان تعليم اللغات.

وأن من المشاكل التي تعترض سبيل اللسانيات التربوية: الغزارة في المادة الإفرادية من جهة، والخصاصة في مدلولاتها من جهة أخرى، وكذا الجهل بالكيفية السليمة في تأدية اللغة العربية.

ولما انتقل إلى الحديث عن البحث في محتوى طرق تبليغ المعلومات، وكيفية إكساب المتعلم الملكة اللغوية الكافية، يشير إلى أن كل هذا يستمد من ثلاث ميادين رئيسية هي كالتالي:

-**الميدان الأول**: يهتم بكيفية اكتساب الطفل للغة آبائه ومحيطه وكذا اكتساب الراشد للغة ثانية غير لغة الأم.

الميدان الثاني: علم اللسان المرضي وهو خاص بآفات التعبير.

الميدان الثالث: تربوي لغوي يعمل على اختيار الطرق الخاصة بتدريس اللغة.

كما يشير إلى مراحل اكتساب اللغة عند الطفل والتي تمر بثلاث مراحل هي: مرحلة الصراخ والمناغاة أو الإنغاء والبناء.

ليختم الفصل بالحديث عن الإجراءات العملية للعملية التعليمية فهو يحصر أهمها في:

-اختيار المادة اللغوية والتي تبنى أساسا على معايير ومقاييس دلالية ولفظية ونفسانية واجتماعية.

-التدرج في تعليم المادة اللغوية والذي يقتضي :السهولة ،الانتقال من العام إلى الخاص وكذا تواتر المفردات.

-عرض المادة اللغوية.

- التمرين اللغوي أو التطبيق بنوعيه المباشر وغير المباشر.

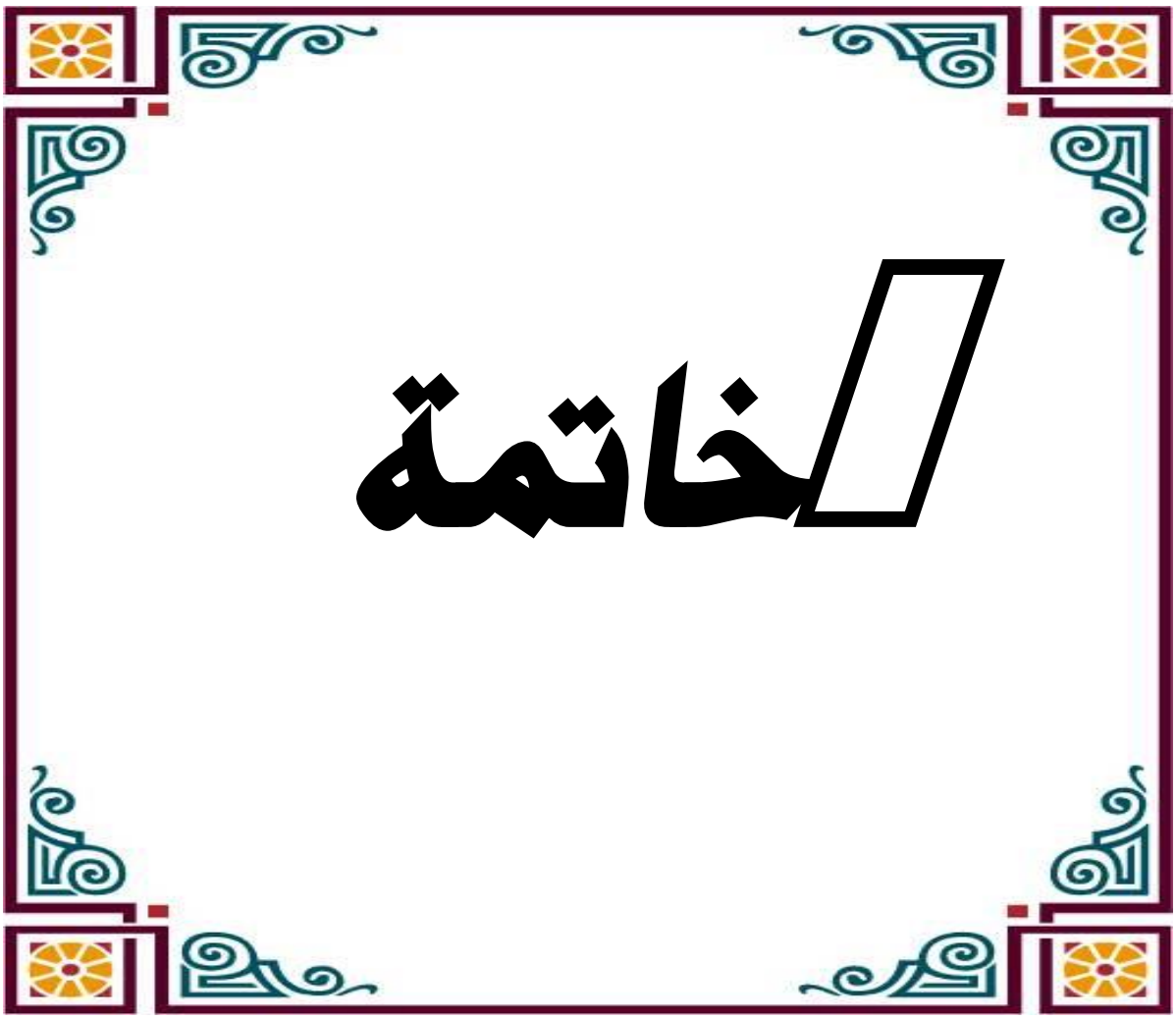

خاتمة

في ختام هذا البحث نكون قد حاولنا الإجابة عن التساؤلات المطروحة حول الجهود اللّسانية عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح من خلال كتابه "بحوث ودراسات في علوم اللّسان" وتوصّلنا إلى النتّائج التّالية:

- لا يحدّد الأستاذ مفهوم اللسانيات إلاّ بالرجوع إلى موضوعه الرئيسي ألا وهو اللّسان. فعلم اللّسان هو علم يبحث في الخصائص اللّسانية منعزلة عن الظواهر الاجتماعية والنفسية وغيرها من الظّواهر.

- وراح يبحث في اللّسان بوصفه نظاما صوتيا دلاليا يتميّز عن الأنظمة الدلالية الأخرى كالإشارات من خلال خاصية التّقطيع المزدوج الذي ينعدم في العلامات غير اللغوية الأخرى.

- تأثّره بالتّراث اللّغوي العربي القديم ظهر في استعمالاته الاصطلاحية، حيث نجده يستعمل مصطلحات مثل: علم اللّسان بدل الكثير من المصطلحات الأخرى. ومصطلح اللّسان بدل اللّغة الّتي تخصّص مفهومها على لغة معيّنة، مصطلح البِنَوية مكان البنيوية.

- إنّ تاريخ نشأة اللّسانيات حسب نظرة الباحث نشأت في القرن الخامس قبل الميلاد (ق5 ق م)، وقد تكون سنة 1816 مع بوب وقد تكون سنة 1916 مع دي سوسير، وقد تكون سنة 1926 مع تروبرسكوي، وقد تكون 1956 مع تشومسكي.

- اللّسانيات باعتبارها علما حديثا جاءت نتيجة لتظافر ثلاث عوامل مهمة هي: اكتشاف اللّغة السنسكريتية، وظهور القواعد المقارنة، ونشأة علم اللغة التاريخي.

- أمّا جانب تعليم اللّغات فكانت له مجهودات كبيرة في ذلك وخاصة تعليمية اللغة العربية، حيث رأى أنّ العملية التّعليمية –في جميع البلدان العربية وليس فقط الجزائر- قاصرة على تخريج تلميذ يعبّر تعبيرا سليما باللّغة العربية، وسبب ذلك إهمال التّعليم الشفهي والتركيز على التعليم الكتابي، فأصبحت العربية بذلك لغة تحرير لا لغة خطاب.

- وانطلاقا من أنّ أصل اللّغة هو المشافهة وليس التّحرير اقترح إصلاحات قيّمة مسّت جميع أطراف المنظومة التعليمية، وكان تركيزه على الملكة اللّغوية قصد تحسين التّعبير الشفهي للمتعلّم.

- يصف العلاقة بين الميدان النّظري والميدان التّطبيقي لعلم اللّسان وصناعة تعليم اللّغات بالجدلية، وينبّه إلى الخطأ الفادح في الفصل بين هذين الجانبين، بل ويدعو إلى ضرورة تظافر الجهود بين علماء اللّسان وعلماء التربية وعلماء النّفس، وحتّى الأطبّاء المتخصّصين في علم الأعصاب بغية الكشف عن أسرار الأحداث اللّغوية واستغلالها في مختلف ميادين الحياة.

- تعرّض لظواهر اللّسان والتّبليغ في منظور اللّسانيات الحديثة سواء كان ذلك في الميدان النّظري أو التّطبيقي أهمّها:

* اللّسان أداة تبليغ.

* اللّسان ظاهرة اجتماعية لا فردية.

* لكلّ لسان خصائص من حيث الصورة والمادة.

* اللّسان هو في حدّ ذاته نظام من الأدلة المتواضع عليها.

* للّسان منطقه الخاص به.

* اللّسان وضع واستعمال، ثمّ لفظ ومعنى في كلّ من الوضع والاستعمال.

* للبنى اللّغوية مستوى من التحليل غير مستوى الوضع والاستعمال.

- يؤكّد على أنّ البحث في محتوى طرق تبليغ المعلومات وكيفية إكساب المتعّلم الملكة اللّغوية الكافية، إنّما يستمدّ من ثلاثة ميادين رئيسية هي:

الميدان الأول: يهتمّ بكيفية اكتساب المتعلّم للغة آبائه ومحيطه، وكذا اكتساب الرّاشد للّغة الثانية غير اللّغة الأمّ.

الميدان الثّاني: يهتمّ بآفات التّعبير.

الميدان الثالث: تربوي لغوي يعمل على اختيار الطرق الخاصّة بتدريس اللّغة.

- يؤكّد على مبدأ أنّ مدرّس اللّغة ينبغي أن تتوفر فيه شروط ويحصرها فيما يأتي:

* اكتساب الملكة اللّغوية.

* الإلمام بمجال بحثه.

* اكتسابه الملكة اللّغوية الكافية في ميدان تعليم اللّغة.

- حدّد المشاكل التي تعترض سبيل اللّسانيات التّربوية فيما يأتي:

* الغزارة في المادة الإفرادية من جهة والخصاصة في مدلولاتها من جهة أخرى.

*الجهل بالكيفية الصحيحة في تأدية اللّغة العربية.

- نجده يقسّم المعلومات اللّغوية إلى:

* معلومات مشعور بها في حيّز الشّعور كالقواعد والقوانين مثلا.

* معلومات لا شعورية تكسب بالرّياضة والتّدريب أو المران.

- يحصر أهم الإجراءات العملية للعملية التّعليمية في:

* اختيار المادة اللّغوية.

* التدرّج في تعليمها.

* عرض المادة اللّغوية.

* التمرين اللغوي (التطبيقي).

و في الختام لا نبرح الحديث عن إسهامات رجل أفنى معظم حياته في البحث العلمي اللّغوي متطرّقا إلى جُلِّ علومه وننفي هنا نفيا مطلقا أن يكون هذا العمل المتواضع قد عكس الصورة العلمية لعبد الرحمان الحاج صالح، فإنّ لهذا العالم الفذّ تخصّصات علمية أخرى في الصّوتيات العربية، الفونولوجيا، وعلم التّرجمة، وعلم القراءات، وغيرها من المجالات التي يمكن أن تكون آفاقا لدراسات أكاديمية مستقبلية.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

الكتب باللّغة العربية:

1. الأصول دراسة استيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان، عالم الكتب، مصر، 2000.
2. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، 2012.
3. التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، عبد الجليل مرتاض، دار الهومة، الجزائر، (د ط) ، 2008.
4. خصائص الخطاب اللساني من أعمال ميشال زكريا نموذجا، هبة خياري، ط1، دار الوسام العربي، بيروت لبنان، سنة 2011م.
5. دراسات في علم اللغة الحديث ،صادق يوسف الدباس ،دار أسامة للنشر و التوزيع عمان ،ط1، 2012.
6. دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات ،أحمد حساني ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ط1،2000.
7. دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد، دار الهومة، الجزائر، ط3، 2000.
8. علم اللغة ،حاتم صالح ضامن ،مطبعة التعليم العالي ،الموصل ،بغداد ،1989.
9. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ،محمود السعران ،دار النهضة العربية ،لبنان – بيروت ،(دط دت)
10. فصول في علم اللغة العام، محمد علي عبد الكريم الرديني، دار الهدى الجزائر، 2007.
11. فقه اللغة، عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط8، (د ت).
12. فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر الحديث، لبنان، 1964.
13. في علم اللغة العام، عبد الصابور شاهين، ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، 1989.

14. قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، 1984م.

15. اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ط3، المطبعة الجهوية، قسنطينة، الجزائر سنة 2007م.

16. اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات، خليفة بوجادي، ط1، بين الحكمة، الجزائر سنة 2012.

17. اللسانيات والمصطلح، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط2، 1999م.

18. مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، طبعة 1999م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

19. مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية، لبنان، ط2، 1985.

20. مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، مصر، (د ط)، 2008.

21. مبادئ الألسنية الفروع والمبادئ والمصطلحات، هيام كريدية، مطبوعات جامعية، ط1، 2003.

22. مبادئ اللسانيات البنيوية – دراسة ابستمولوجية تحليلية –، الطيب دبة، حيدرة، الجزائر، (د-ط)، 2001، /41.

23. مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، سوريا- دمشق، ط1، 2001.

24. مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة، الجزائر، ط2، 2000.

25. مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة، الجزائر، (د ط)، 2000، ص/16.

26. محاضرات في اللسانيات التطبيقية للسنة الثانية، بكار امحمد، الارسال الثالث، السنة الجامعية 2006/ 2007، بوزريعة- الجزائر.

27. محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، أبحاث للترجمة والنشر، لبنان، ط1، 2006.

28. محاضرات في علم اللغة الحديث، أحمد مختار عمر، عالم الكتب للنشر، القاهرة – مصر، ط1، 1995.

29. المدارس اللسانية المعاصرة، بوقرة نعمان، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، (د.ط)، (د.ت).

30. المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، التواتي بن تواتي، دار الوعي، رويبة، الجزائر، ط1، سنة 2008م.

31. المدارس اللسانية في العصر الحديث، التواتي بن التواتي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1433هـ-2012م، ص/05.

32. مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، سنة 1997م، ص/7.

33. مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، (د ط)، القاهرة، 1998.

34. مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، مطبعة دار قباء، القاهرة، دط، دت.

35. المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار إحياء الكتب، ط3، (د،ت).

36. مقاربات منهاجية، صالح بلعيد، ط3، دار هومة، الجزائر، سنة 2000م.

37. المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد الوافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2006 ،ج3.

38. مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر- القاهرة، 1999.

39. النحو العربي بين الأصالة والتجديد، عبد المجيد عيساني، ط1، دار ابن حزم، سنة 2008.

40. 1- الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، 1952، ج1.

41. دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار المعارف، ط2، 2008، القسم الثاني.

42. مفاهيم في علم اللسان، التواتي بن التواتي، دار الوعي، الجزائر، ط2، 2008.

43. اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، نادية رمضان النجار، مراجعة: عبده الراجحي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية، 2004م.

الكتب المترجمة:

1. اتجاهات البحث اللساني، مليكا إفيتش، تر: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2008.

2. أسس علم اللغة، ماريوباي، تر: أحمد مختار عمر، ط8، عالم الكتب، القاهرة، 1998م.

3. تاريخ علم اللغة، جورج مونان، تر: بدر الدين القاسم، منشورات الجامعة السورية، دمشق، 1972.

4. علم اللغة، جونز ليونز، تر: مصطفى التوني، دار النهضة العربية، 1987.

5. قواعد المنهج في علم الاجتماع، دوركايم اميل، تر: محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية، 1961.

6. مبادئ ألسنية عامة، أندري مارتيني، تر: ريمون رزق الله، دار الحداثة، بيروت، لبنان، دط، 1990.

7. محاضرات في الألسنة العامة ، فردينان دي سويسر: تر: يوسف الغازي ومجد النصر المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر .

8. موجز تاريخ علم اللغة في الغرب ، روبنز ، تر: أحمد عوض ، عالم المعرفة ، (د ط)، الكويت ، 1997.

المجلات والدوريات:

1. الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، الشريف بوشحدان، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر- بسكرة، ع7، جوان 2010.
2. أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، بشير إبرير، "مقال"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر - بسكرة، ع7 فيفري 2005.
3. إلى أين يتجه البحث اللغوي الحديث؟، عبد القادر شاكر، "مقال"، مجلة التراث العربي، ع86-87.
4. رؤية منهجية لمستقبل العملية التعليمية في الجزائر، فاطمة الزهراء بغداد، "مقال" كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري- تيزي وزو، ديسمبر 2010.
5. الفكر اللساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من خلال مجلة اللسانيات، منصوري ميلود "مقال" ، مجلة العلوم الانسانية ع7، 2005.
6. الكفاية العلمية والتعليمية للنظرية الخليلية الحديثة، يحي بعطيش، "مقال"، مجلة التواصل، جامعة باجي مختار، عنابة- الجزائر ع25، مارس 2010.

الرسائل العلمية:

1. التفكير النحوي عند عبد الرحمن الحاج صالح، سعاد شرفاوي، مذكرة ماجيستير، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة، 2009- 2010م.
2. الجهود اللسانية مازن الوعر ، عامر بن شتوح ، مذكرة ماجستير ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2013-2014م .

3. الدرس اللساني وخصائصه عند عبد الرحمن الحاج صالح، محمد الأمين هراكي، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة ،2012- 2013.

4. مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، نسيمة نابي، مذكرة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011/2010.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة..أ–ج

بطاقة فنية

مدخل..01

الفصل الأول: الجذور الأولى لظهور اللّسانيات

المبحث الأول: المجال المفاهيمي الدلالي لمصطلح اللّسان......................19

المبحث الثاني: الدراسات اللّسانية قبل علم اللّغة......................33

الفصل الثاني: الاتّجاهات اللّسانية في العصر الحديث

المبحث الأول: الدّراسات اللّسانية في مرحلة ما قبل البنيوية......................58

المبحث الثاني: القرن العشرين عصر البنية والدراسة البنوية......................76

الفصل الثالث: تعليمية اللّغات، إجراءاتها العملية وكيفية اكتسابها

المبحث الأول: علم اللّسان وصناعة تعليم اللّغات......................97

المبحث الثاني: تعليمية اللّغات وإجراءاتها العملية 118

خاتمة 139

قائمة المصادر والمراجع..144

فهرس الموضوعات..151